قاسيون

العدد 306
السبت 19 أيار 2007
12 صفحة . الثمن (10) ل.س

بلغ عدد رواد موقعنا الالكتروني
حتى تاريخ إغلاق هذا العدد (٢٥٣٢٠٤٧) زائراً..
زوروا «قاسيون» على موقعها الالكتروني:
WWW.KASSIOUN.ORG

يا عمال العالم، ويا أيتها الشعوب المضطَهَدة اتحدوا!

دمشق . ص . ب (35033) . فاكس (3349208) . أنترنت: (WWW.KASSIOUN.ORG) . بريد الكتروني: (GENERAL@KASSIOUN.ORG)

أغرقت أمطار أيار معظم أنفاق العاصمة وشوارعها وأحيائها الفقيرة.. فإذا كان هذا حال العاصمة، ترى ما هي حال بقية المدن السورية؟

الافتتاحية

محكمة أم أداة «تدخل سريع»؟

كان واضحاً أن سورية أصبحت بعد سقوط بغداد بين فكي كماشة الاحتلال الأمريكي – الصهيوني بالمعنى الاستراتيجي، وفي هذا السياق جاء اغتيال رفيق الحريري بمثابة قاعدة انطلاق لتدمير المقاومة الوطنية اللبنانية وإحداث تغيير جذري في سورية يفضي إلى تدمير الدولة ككيان، ويخدم المشروع الأمريكي – الصهيوني في الإجهاز على بؤر المقاومة في فلسطين والعراق، وبالتالي تغيير بنية المنطقة، وتغيير جغرافيتها وتفتيتها كدول ومجتمعات.

وكان واضحاً منذ إصدار قانون محاسبة سورية في الكونغرس الأمريكي وقرار مجلس الأمن ١٥٥٩ وسلسلة القرارات اللاحقة وصولاً إلى العدوان الصهيوني على لبنان في تموز بقرار أمريكي، أن الإمبريالية الأمريكية محكومة بتوسيع رقعة الحرب، ولا تنفع معها أية مساومات، ولا يمكن مواجهة مخططاتها إلا بالمقاومة الشاملة وتعبئة قوى المجتمع على الأرض، وهذا ما أثبتته المقاومة الوطنية اللبنانية ممثلة بحزب الله وأهالي الجنوب الصامد. لكن النظام الرسمي العربي عن سبق إصرار، لم يرغب – لأسباب يعرفها الجميع – بتوظيف انتصار المقاومة في لبنان، ومن هنا جاء توصيف الأمين العام لحزب الله صحيحاً «بأن توقيت إطلاق المبادرة العربية مجدداً يخدم أمريكا والكيان الصهيوني...» وبالفعل ازداد الهجوم السياسي الأمريكي – الصهيوني الشامل على المنطقة بعد قمة الرياض ومؤتمر شرم الشيخ، سواء باكتمال الحشد العسكري والسياسي ضد إيران، أو بالتدخل الفاضح في الشؤون اللبنانية عبر الدعم السافر لحكومة «السنيورة»، وكل قادة فريق ١٤ شباط، وآخرها وضع قضية «المحكمة الدولية» على نار حامية لإقرارها تحت الفصل السابع بغية استخدامها كأداة للتدخل السريع في المنطقة، بتجاوز صارخ لكل الأطر الدستورية اللبنانية، تمهيداً لوضع لبنان تحت الوصاية الدولية، ليتحول إلى مقر وممر للعدوان على سورية من التحالف الإمبريالي الصهيوني.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار تصريحات عبد الحليم خدام لفضائية فريق ١٤ شباط عشية عرض مشروع القرار الأمريكي – الفرنسي – البريطاني حول (المحكمة الدولية) على مجلس الأمن، مضافاً إليها زيارة «ديفيد وولش» للبنان وما صرح به حول المحكمة والاستحقاق الرئاسي اللبناني، وتصريحات رئيس وزراء العدو الصهيوني (حول إصلاح أخطاء حرب تموز)، يصبح واضحاً أننا في سورية ولبنان أمام عدوان متسارع، قد يتزامن مع توجيه ضربة لإيران، وهذا ما يتطلب رفع درجة اليقظة والتأهب للمواجهة المرتقبة على قاعدة (أن ثمن الصمود أقل من ثمن الفوضى العمياء) التي شاهدنا ونشاهدها في العراق.

ليس صدفة أن تزداد المخاطر العدوانية على سورية عشية الاستحقاق الرئاسي وبعد خطاب رئيس الجمهورية في مجلس الشعب الذي أكد فيه «أن المحكمة الدولية تخدم مصالح أمريكية وإسرائيلية، وأن لا تفريط بالسيادة الوطنية»، مما يتطلب من ضمن قضايا أخرى، تغييراً في طابع الأداء الحزبي والحكومي والإعلامي في التحضير الجاري للاستفتاء على ولاية دستورية جديدة، بحيث يعزز الأداء المطلوب الجوهر السياسي الهادف إلى استنهاض قوى المجتمع بما يعبر عن الثوابت السورية الوطنية التي سبق التأكيد عليها في خطابي مدرج الجامعة ومؤتمر المحامين العرب، الأمر الذي سيجعل هذا الاستحقاق أمام المواطنين متميزاً عما سبقه في انتخابات مجلس الشعب، وألا يقتصر الأداء المذكور على مظاهر احتفالية لا تعبر بحد ذاتها عن محتوى الخطاب السياسي، أي لابد من استنهاض قوى وجماهير الشعب وطنياً واجتماعياً وديمقراطياً استعداداً للمواجهة المرتقبة مع قوى العدوان الإمبريالي الصهيوني عبر خيار المقاومة الشاملة على الصعد كافة، وخاصة أن الأجواء الحالية في المنطقة تشابه في تعقيداتها وتوترها أجواء تشرين أول ٢٠٠٥ عشية تقرير «ميليس» الأول، وفي هذا الاستنهاض ضمانة للدفاع عن كرامة الوطن والمواطن. ■■

الرفيق هشام الباكير (أبو سعيد).. وداعاً

..... ص3

العمال العرب ضد بقاء الوزيرة «حاج عارف» ...
رئيسة لمنظمة العمل العربية ص 2

الاستغباء المتوحش للبسطاء...
في مؤسسة وجامعة المأمون ص 6

معهد التخطيط ...
يواجه هيئة التخطيط بأسئلة محرجة ص 7

فوضى غزة ..
فلتان أمني أم تدمير قضية ومجتمع؟ ص 9

د. غالب أبو مصلح لقاسيون:
انهيار الإمبريالية الأمريكية يبشر بفجر عربي جديد ص 10

إجبار أردنيين على بيع أراضيهم لسعد الحريري

هدد مالكو بنايات سكنية وتجارية في منطقة العبدلي وسط عمان، مجاورة «لمشروع تطوير العبدلي» الذي تديره شركة مملوكة لسعد الحريري وأخيه بهاء باتخاذ إجراءات تصعيدية، احتجاجاً على استملاك البلدية لأراضيهم وعقاراتهم عنوة لصالح آل الحريري.

وعقد سكان المنطقة بحضور نوابهم في البرلمان اجتماعاً تدارسوا فيه ما يمكن اتخاذه من إجراءات، في أعقاب وضع عقاراتهم تحت دراسة تنظيمية، حالت دون بيعها أو رهنها بحجة إعادة التنظيم.

ويبدي السكان تخوفهم من أن تبيع البلدية أراضيهم وعقاراتهم المستملكة، إلى الشركة المنفذة للمشروع المذكور كما فعلت بحديقة «عمرة» التي باعتها لمشروع «بوابة الاردن» لإنشاء أبراج عليها، بعد تغيير صفة استعمالها من حدائق إلى تجاري.

وكان الملك عبد الله قد باع منطقة العبدلي ومقر المخابرات القديم- فندق أبو رسول- لآل الحريري كما باع مناطق شاسعة في العقبة لهم ومنع سكان المناطق المحيطة بالتصرف بممتلكاتهم تمهيدا لبيعها أو نقلها أيضا لآل الحريري.

معاناة سكان العبدلي بدأت منذ أربعة أعوام وأمانة عمان تضغط عليهم لبيع أراضيهم وبيوتهم لمشروع تطوير العبدلي الذي تديره عائلة الحريري الذي يهدف إلى إقامة فنادق ومشاريع سياحية.

ووفقا لقرار المنع فإن السكان لا يمكنهم التصرف بأراضيهم بأي شكل من الأشكال خاصة سكان حوض رقم ١٤ لوحة رقم ١٧ في العبدلي والتي يبلغ عددهم أكثر من ٩٠٠ شخص يشكلون أكثر من ١٥٠ عائلة وتحاول أمانة عمان جاهدة إجبار ساكنيها على ترك منازلهم والتخلي عن أراضيهم التي باتوا يملكونها على الورق فقط لآل الحريري بحجة إعادة تنظيم المنطقة لعمل حدائق فيه تتبع فنادق آل الحريري المزمع بناؤها.

ورفض النائب ممدوح العبادي إجراءات الاستملاك وعدّها إجحافا قائلاً: «لا نقبل أن تنزع ملكية أي مواطن لأنها مقدسة ومحمية وفق الدستور ونرفض تحت أي عنوان أن تغتصب أراضي المواطنين، وإذا أرادت الشركة الخاصة شراء الأراضي لتوسيع مشروعها فعليها الالتزام بشراء الأراضي بالتراضي مع أصحابها».

■ محمود زويد-عمان
مجموعة التقدم البريدية

الرئيس الأسد يستقبل وفد مجلس الشعب

استقبل السيد الرئيس بشار الأسد قبل ظهر الأحد الماضي الدكتور محمود الأبرش رئيس مجلس الشعب والسادة أعضاء هيئة مكتب المجلس.

وقد نقل الدكتور الأبرش والسادة أعضاء هيئة مكتب المجلس قرار مجلس الشعب بالموافقة على ترشيح السيد الرئيس بشار الأسد للولاية الرئاسية القادمة وعرضه على الشعب للاستفتاء بتاريخ ٢٠٠٧/٥/٢٧ .

وقد عبروا عن التفاف المواطنين حول قائدهم وأكدوا أن الاستفتاء سيكون محطة وطنية تبرز خيارات الشعب العربي السوري بالتلاحم مع شخص السيد الرئيس ومواقفه النابعة من نبض الشارع.

شكر السيد الرئيس رئيس المجلس وأعضاء هيئة مكتب المجلس وعبر عن تقديره العالي لثقة مجلس الشعب لهذا الترشيح الذي سيكون له الحافز للمزيد من العمل وتحمل المسؤوليات الوطنية.

وكان مجلس الشعب وافق بالإجماع في جلسته المنعقدة في يوم الخميس العاشر من أيار على رسالة القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي المتضمنة ترشيح الدكتور /بشار الأسد/ لمنصب رئيس الجمهورية لولاية دستورية جديدة.

كما وافق بالإجماع على تشكيل لجنة خاصة لدراسة رسالة القيادة القطرية وإعداد التقرير اللازم لرفعه إلى المجلس لمناقشته وإقراره.

ومتابعة لاستكمال الإجراءات الدستورية لهذا الحدث التاريخي الهام أصدر السيد رئيس مجلس الشعب القرار رقم ٦٣ تاريخ ٥/١٠ بدعوة مجلس الشعب لعقد دورة استثنائية تخصص لدراسة رسالة القيادة القطرية.

وقال الدكتور محمود الأبرش رئيس مجلس الشعب أن ترشيح السيد الرئيس بشار الأسد لولاية دستورية جديدة هو تعبير واضح عن إرادة الشعب الذي يثق ثقة مطلقة بقدرة السيد الرئيس على تعزيز مسيرة التنمية والبناء والتحرير والتمسك بالنهج الوطني والقومي ويمثل ضمير الأمة ووجدانها وتطلعاتها نحو النصر والتحرير وتوفير الأمن والاستقرار والازدهار لوطننا الحبيب.

وأضاف الدكتور الأبرش في كلمة له لقد ورد إلى المجلس رسالة القيادة القطرية المتضمنة ترشيح الدكتور بشار الأسد لمنصب رئيس الجمهورية لولاية دستورية جديدة وعملا بأحكام المادتين /١٧٧/ و/ ١٧٨/ قام مكتب المجلس بتشكيل لجنة خاصة للنظر في الاقتراح.

■ دمشق- سانا

بصراحة

كي لا يدير العمال ظهورهم للانتخابات

اقترب موعد الانتخابات النقابية، ولم يبق سوى القليل من الوقت فماذا أعددنا؟؟

سؤال مطروح على الجميع على ضوء التجربة المستنتجة من الدورة الـ(٢٤) التي شارفت على نهايتها، حيث حفلت هذه الدورة بالكثير من النقاشات والمداخلات التي دارت داخل المؤتمرات النقابية، وخارجها بالندوات حول قضايا اقتصادية هامة تمس الاقتصاد الوطني عموماً، وبالتحديد القطاع العام الصناعي واتجاهات إصلاحه والتي كان للحركة النقابية وجهات نظر بطرق وأساليب الإصلاح.

عندما تحضر الحكومة الاجتماعات مع النقابات ويجري طرح القضايا المتعلقة بالقطاع العام يعبر النقابيون عن تخوفاتهم المشروعة على القطاع العام، وهنا بيت القصيد. هل استطاعت الحكومة أن تبدد مخاوف النقابيين جراء نهجها وسياساتها المتبعة لإصلاح القطاع العام؟؟

إن الإجابة عن ذلك واضحة، لأن النقابيين لم يتخلوا عن طروحاتهم في كل الاجتماعات والمؤتمرات، ولأن النقابات بحكم علاقتها المباشرة بمواقع الإنتاج تتحسس الخطر الداهم، وكذلك المخاطر التي تتهدد مصالح العمال، رابطة تلك المخاطر الواقعة على الاقتصاد الوطني بالمخاطر الأمنية والضغوطات السياسية الواقعة على وطننا من العدو الخارجي المتزامن مع الضغوطات الداخلية التي تمارسها رموز العدو الخارجي.

قد يقول قائل: إن ما هو مطروح هنا ليس بالجديد ... نعم إن ما يبرر إعادة القول هو حجم المخاطر الحقيقية التي تواجه اقتصادنا الوطني وانعكاس ذلك على مصالح الطبقة العاملة، ونحن على أبواب انتخابات نقابية جديدة، تتطلب حشد كل الإمكانيات والقدرات الكامنة لدى الطبقة العاملة لمواجهة المخاطر وعدم بقائها على الحياد، وهي ليست على الحياد، وإن كانت لاتشارك بشكل فاعل بما يجري لأسباب لا تتعلق بالطبقة العاملة، بل بالشروط والأدوات والرؤى التي تدير دفة الصراع..

ومن هنا فإن الانتخابات القادمة لا بد أن تكون محطة هامة على طريق خلق ممانعة حقيقية لدى الطبقة العاملة السورية لتلك السياسات المراهنة على السراب الذي سيحقق النمو المطلوب، والذي سيحل مشاكل البلاد والعباد كما يدعون ذلك.

إن لدى العمال تجربة واسعة بالانتخابات، وما يرافقها من ظواهر سلبية تؤدي إلى إدارة الظهر، مما يوسع الهوة أكثر بين العمال وبين ممثليهم، أي أن هناك ضرورة سياسية وطبقية لاحترام عقل العامل في اختيار مرشحه النقابي القادر على تحمل مسؤولية العمل والنضال النقابي دفاعاً عن مصالح العمال في مواقع الإنتاج، لا أن يعيش العامل بغربة عن لجنته النقابية، حيث يجري تزكية الكثير من النقابيين ليس لكفاءتهم وقدراتهم النقابية، بل لاعتبارات أخرى يعرفها العمال، خاصة وأن الكثير من القضايا لم يجر الدفاع عنها بما يكفي من الحزم رغم مساسها بمصالح العمال وحقوقهم ومنها:

١ ـ الأجور المتدنية غير المتناسبة مع تكاليف المعيشة.

٢ ـ الأسعار الكاوية التي جعلت العامل يفكر كثيراً قبل أن يقدم على شراء كيلو بطاطا، أو كيلو بندورة، أو عدد من البيض... أو ... أو...

٣ ـ الحوافز الإنتاجية، التي أصبحت جزءاً من الأجر للسببين السابقين، والتي هي الآن على كف عفريت..

٤ ـ العمال المؤقتون والبالغ عددهم ٤٨ ألف عامل، وهذه الصفة التي يحملونها «عامل مؤقت» تخفي وراءها الكثير من النوايا تجاه العمال وتجاه القطاع العام، بحيث يبقى مصير هؤلاء مجهولاً، ويمكن التخلص منهم في اللحظة المناسبة دون أن يترتب على ذلك مساءلة قانونية أو التزام محدد، كما هو حاصل تجاه العمال المثبتين، والعمال المؤقتين. والعمال المؤقتون يندرجون تحت تسميات عدة مثل: عمال موسميون، عمال على الفاتورة ـ وغيرها من التسميات التي تفتق عنها العقل الإداري الحكومي.

٥ ـ مكان العمل وبيئة العمل: حيث بات التعامل معها وكأنها شيء ثانوي بالرغم من المخاطر التي يتعرض لها العمال من أمراض مهنية خطيرة، مثل معمل السماد الآزوتي ـ معامل النسيج ـ عمال المرافئ ـ عمال المناجم ـ عمال مصفاة حمص ـ بانياس..

٦ ـ الوجبة الغذائية الوقائية: وهي وجبة يستحقها العمال لوقايتهم من الأمراض..

٧ ـ أموال التأمينات الملطوشة» لصالح صندوق الدين العام.

إن الارتقاء بالعمل النقابي وتطويره بما يتناسب مع التطورات الجارية، ضرورة ملحة تقتضيها المصالح الوطنية ومصالح العمال التي هي وطنية أيضاً.

■ **عادل ياسين**
adel @kassioun.org

بيان حول تصويت الفريق العمالي لرئاسة مجلس إدارة منظمة العمل العربية

العمال العرب ضد بقاء وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل السورية رئيسةً للمنظمة

صوت الفريق العمالي بمجلس إدارة منظمة العمل العربية المنعقد في دورته السابعة والستين بدمشق من ٨ إلى ١٠ أيار مايو ٢٠٠٧ ضد إعادة «انتخاب» السيدة/ ديالا الحج عارف وزيرة الشؤون الاجتماعية والعمل بالجمهورية العربية السورية كرئيسة لمجلس إدارة المنظمة ممثلة للحكومات لسنة جديدة، كما قاطع الفريق أيضاً مأدبة الغداء التي دعت إليها المشاركين بإشغال هذا المجلس.

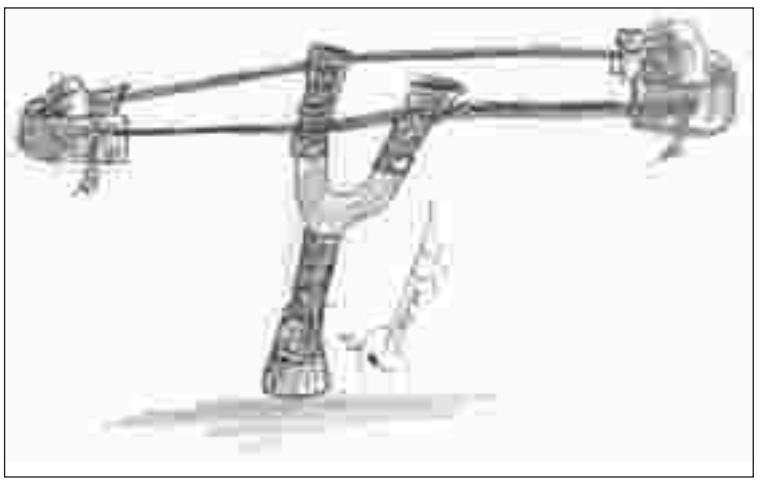

ولإثارة الرأي العام حول موقفنا فإننا نسوق هذا البيان لشرح الأسباب والاعتبارات التي دفعت الفريق العمالي لاتخاذ هذا الموقف:

أولاً ـ لقد اتفق أعضاء مجلس إدارة المنظمة بالدورة ٦٥ التي انعقدت بدمشق في مايو/ أيار ٢٠٠٦ والذي تم خلالها انتخاب السيدة الوزيرة بالإجماع رئيسة له على أن يتم إسناد رئاسة المجلس بالتناوب بين ممثلي أطراف الإنتاج الثلاثة، وهذا ما يعني أن تؤول الرئاسة هذه السنة إما لممثل عن فريق العمال أو لممثل عن فريق أصحاب العمل، ولذا فإن تمسك وزيرة العمل وممثلي الحكومات برئاسة مجلس إدارة المنظمة لا مبرر له ومخالف لما تم الاتفاق بشأنه.

ثانياً ـ إن الفريق العمالي متمسك بحقه في رئاسة مجلس الإدارة منذ هذه الدورة خاصة بعد إحجام فريق أصحاب العمل عن تقديم مرشح له لهذا المنصب، ولذا فإن إعادة تعيين السيدة وزير العمل السورية بصفتها ممثل عن الحكومات هي عملية سلب لحق من حقوق العمال.

ثالثاً ـ إن الموقف العمالي يستند أيضاً إلى عدة مواقف اتخذتها السيدة الوزيرة تعتبر معادية للعمال وللحق النقابي سواء من خلال تصريحات صدرت عنها أو من خلال قرارها الخاص بالعمال الاستفزازي المتكرر للفريق العمالي ونذكر منها في هذا المجال ما صدر عنها تجاه مستشار المنظمة الممثل للعمال خلال مجلس إدارة المنظمة بالقاهرة في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٦.

رابعاً ـ إن العمال العرب بقيادة الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب وقفوا دوماً وسيظلون إلى جانب سوريا وقيادتها وعمالها وشعبها لموقفها الصامدة في مواجهة العدو الإسرائيلي وشتى الضغوطات والاستفزازات ومن أجل تحرير الجولان العربي السوري.

إن الفريق العمالي بمجلس إدارة منظمة العمل العربية إذ يجدد دعمه لسوريا وتضامنه الكامل مع الاتحاد العام لنقابات عمال القطر العربي السوري وإذ يذكر بأنه ساند ترشيح الوزيرة السورية في الدورة ٦٣ لرئاسة مجلس الإدارة، فإنه يؤكد أن موقفه بهذه الدورة لا يمكن اعتباره موجهاً ضد سوريا بل هو موقف يستند للأسباب الموضوعية المذكورة آنفاً.

ممثلو العمال بمجلس إدارة منظمة العمل العربية

- **علي رمضان**
- **بوجمعة رحمة**
- **محمد السنوسي العجانبي**

■ **ممثل الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب**
جمال الشماسات

سلوك غير نقابي.. لكنه كثير الحدوث

وصلت إلى «قاسيون» شكوى من العامل محمد حاج يونس.. يشرح فيها تفاصيل إبعاده عن عضوية اللجنة المالية في نقابة عمال الأخشاب والبناء في الحسكة، نوردها كاملة..

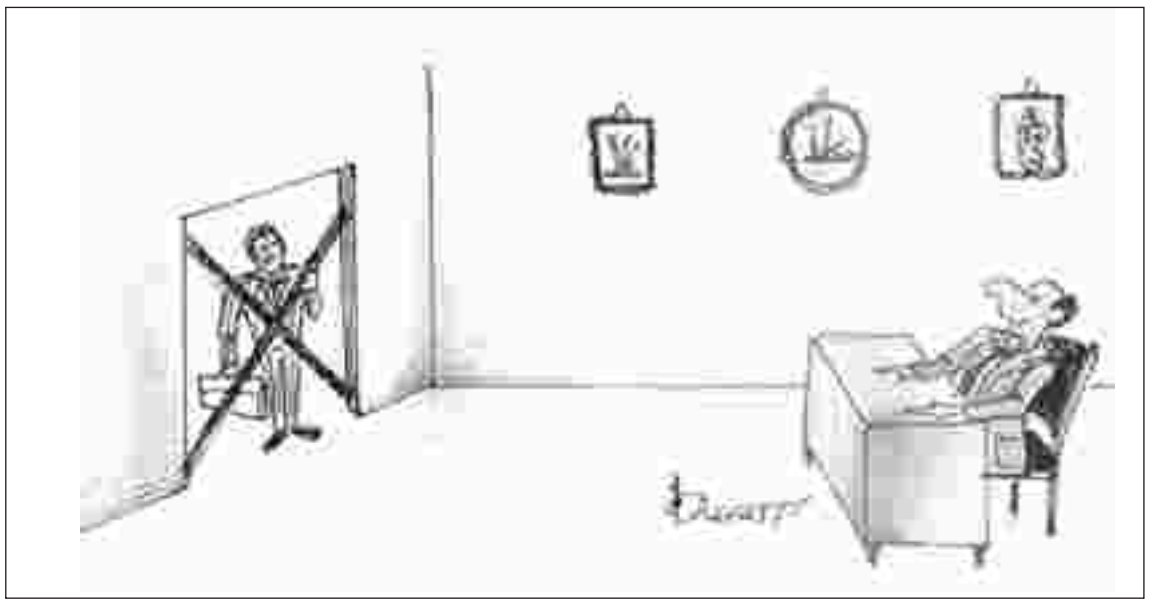

إلى هيئة تحرير صحيفة قاسيون المحترمة..

تحية عمالية وبعد.... هذه شكوى من عامل غدر به وظلم، شأنه في ذلك شأن جميع الكادحين في بلادنا، الفقراء الطيبين الذين يغدر بهم ويظلمون في هذه البلاد التي ابتليت بغيلان الفساد والإفساد، وجهابذة فن تقبيح وجه الدولة في عين المواطن، المبثوثون في جميع أركانها ومفاصلها ولم تفلت منهم حتى الهيئات والمنظمات التي من المفروض أنها شعبية ومهنية !

النقابة فعلت ذلك فعلى من العتب؟

في كل عام تتشكل لجان مالية تتكون من ثلاثة أعضاء، يكون الرئيس فيها حكما من ملاك المالية بالإضافة إلى عضو من البلدية وعضو خبير من نقابة عمال الأخشاب والبناء، وقد كنت عضوا في إحدى هذه اللجان بصفة خبير، بناءً على تكليف من النقابة التي أنا عضو فيها منذ العام ١٩٧٩ وذلك خلال العام المنصرم ٢٠٠٦، وتم تكليفي اثر سفر احد الزملاء خارج القطر ....

وقد كنت ملتزما ومواظبا خلال العام الماضي رغم الأجر الرمزي والزهيد، وتم تكليفي بشكل اعتيادي خلال عام ٢٠٠٧ حسب الأصول، وبقيت مكلفا حتى الشهر الثالث، وبشكل مفاجئ تم تكليف شخص آخر بدلا عني بدون أي مبرر، ولا أية إشارة إلى دواعي إبعادي، والمعيّن بدلا عني يدعى صالح الضللي كان موظفا في المالية، وأحيل إلى التقاعد مؤخرا ربما لبلوغه السن القانوني، وعند مراجعة رئيس النقابة وسؤاله عن سبب إبعادي، قدم تبريرات غير مقنعة، واعترف بأنه وقع في خطأ وسوف يصحح خطأه، ولكنه لم يحرك ساكنا، وفي المرة الثانية قلنا له: يا رجل الشخص المعين ليس عضوا في النقابة، فكيف سيمثل النقابة في اللجنة..أجاب قدم انتسابه، وأصبح عضوا، ورفعنا اسمه.. أين المشكلة؟ وما هو جدير بالذكر هو القول إن التعويضات التي كانت تمنح للمكلف في الفترة السابقة لم تكن تتعدى مئات الليرات، ولم يكن يرضى احد القبول بالتكليف، والآن وقد أصبح التعويض حوالي خمسة آلاف ليرة، على ما يبدو (ونقول على ما يبدو) إن التكليف بعد رفع التعويض أصبح مجالا لتنفيع الأقارب أو ذوي النفوذ أو... وإلا ما مبرر هذا السلوك الذي لا يقبله عقل أو منطق؟

■ **الحسكة**
العامل محمد حاج يونس

أم تتحدث عن واقع الحضانة في الشركة الطبية العربية «تاميكو»

كتبت لنا إحدى الأمهات العاملات في الشركة الطبية العربية «تاميكو» شارحةً واقع حال دار الحضانة التابعة للشركة التي تضم بين جنباتها عدداً كبيراً من أطفال العاملين فيها من أعمار مختلفة، وسننقل ما كتبته تلك الأم كما وردت إلينا:

إن الشركة بأقسامها كافة تتمتع بالنظافة، والترتيب، وخاصة بعد أن حصلت الشركة على شهادة الأيزو، أما حضانة الأطفال، التي تضم عدداً كبيراً من الأطفال الذين تضطر أمهاتهم لإبقائهم في الحضانة، فإن وضعها للأسف لا يسر الخاطر، لأن حالها تسير من سيء إلى أسوأ، خاصة وأن البناء المخصص لهذا الغرض، أصبح قديماً ومتهالكاً تملؤه الرطوبة، والنظافة معدومة فيه تقريباً، لأن المياه دائماً مقطوعة، مما يضطر الأمهات لنقل أطفالهن إلى دورات المياه الخاصة بالعاملين في الشركة، بالإضافة لذلك، لا يوجد في الحضانة أسرّة كافية، إذ يبقى معظم الأطفال جالسين على الكراسي طيلة الدوام، وأيضاً المشرفات المسؤولات عن الأطفال في معظمهن، ذوات عاهات لا تمكنهن من حمل أي طفل، أو حتى التعامل معه بحب وعطف، أما من يملكن المؤهلات فقد مللن من تربية الأطفال على ما يبدو (بسبب كبر سنهن).

بالإضافة إلى ذلك، الحضانة غير صحية، لا تدخلها الشمس، والإضاءة فيها سيئة.

قديماً كانت الإدارة تقدم للأطفال بعض الفواكه، والحليب، والكعك، والشوربة، أما الآن فلا يقدم سوى الكعك والشاي، وبعض التاميلاك من إنتاج الشركة وبكميات محدودة.

وقد وعدت الإدارة الأمهات ببناء دار حضانة جديد بدلاً من الدار الحالية، وإلى الآن لم يتم ذلك على الرغم من أن النقابة قد طرحت الموضوع في مؤتمرها مراراً، ولكن لا حياة لمن تنادي.

إن الأمهات يطالبن أصحاب العلاقة بدار حضانة جديدة صحية ومريحة، ويتوفر فيها كل ما يحتاجه الطفل أثناء غياب أمه عنه في العمل، لكي تستطيع الأم العاملة الإنتاج وهي مطمئنة على طفلها..

إننا في قاسيون نطالب الإدارة والنقابة بالاستجابة السريعة لطلب الأمهات العاملات في إيجاد دار حضانة جديدة تحقق الطمأنينة لهن، ولأطفالهن؟؟. ■■

عمال الفاتورة في مؤسسة الوحدة يناشدون

وردت إلى صحيفة «قاسيون» رسالة من عمال الفاتورة العاملين في مطابع مؤسسة الوحدة، هذا ملخصها..

..منذ حوالي العام، قررت صحيفة الديار اللبنانية طباعة نسختها السورية في مطابع مؤسسة الوحدة في دمشق، حيث يقوم عمال المؤسسة بمختلف الاختصاصات بطباعة هذه الجريدة بالإضافة إلى جرائد أحزاب الجبهة، وجريدة كفاح العمال الاشتراكي، حيث كانوا يتقاضون عن عملهم الإضافي أجراً زهيداً جداً، وحتى هذا الأجر بدأ يتقلص، إلى أن حرم العمال منه منذ أكثر من خمسة أشهر، خاصة بعد تسلم المدير الجديد لإدارة المؤسسة، حيث أصدر قراراً حرم بموجبه العمال من أتعابهم لقاء عملهم الإضافي في طباعة جريدة الديار، مع العلم أن العمال كانوا يتقاضون منحاً لقاء طباعتهم الجريدة تتراوح بين (٥٠٠ ل.س حتى الـ٢٠٠٠ ل.س).

العمال يطالبون بمنحهم تعويضاً عن أتعابهم لقاء عملهم الإضافي في طباعة جريدة الديار وغيرها من الجرائد الأخرى. ■■

الرفيق هشام الباكير (أبو سعيد).. وداعاً

... هكذا، دون مقدمات، حضر الموت مجدداً، وأرخى بظلاله القاتمة على أرواحنا الشاخصة إلى النور.. لم يكن ضيفاً عابراً يقيم قليلاً ويمضي سريعاً.. كان كلكلاً ثقيلاً حتى بعد أن انتقى قربانه الأغلى ورحل..

كنا على حين أمل عريض.. نرتب مواعيدنا مع الخطوة التالية، نعاهد دربنا أننا سائرون ومستمرون، نعد لأعدائنا ما استطعنا من البأس والقوة واللحظة الحاسمة.. وكان هشام معنا، إلى جانبنا، أمامنا، على أهبة الاندفاع والحماس والوضوح والرسوخ، وجهه وضاح وثغره باسم، ربما لم يشعر بتسلل الموت بين الصفوف، وربما شعر.. كان في الأسبوع الأخير متألقاً يانعاً، وكنا - نحن الذين على صلة معه معظم الوقت- نستشعر شيئاً يبعث على الانقباض، لم نستطع ترجمة هذا التوجس، ولم نستطع أن نحذر أنفسنا من دخيل غريب، والأهم لم نكن نتصور أن الراحل المُغادر الجديد سيكون هشاماً..

حين صعقنا النبأ عند منتصف الليل، أدركنا أننا لم نكن نبالغ في الخشية، وأن النذر الغامضة التي أثقلت على أرواحنا قبلاً، كانت بحجم الكارثة القادمة.. وداعاً هشام.... يا خسارة تلك العينين المفعمتين بالسنا والطفولة.. يا خسارة ذلك القلب السلسبيل الحميم.. يا لخسارتنا القاسية.. ولكن عهداً منا أن نستمر.. أن نتشبث بالأمل.. أن نبقى على قيد الفرح والتطلع إلى مستقبل أجمل.

التشييع

جرى تشييع الراحل الكبير من مشفى دوما بدمشق إلى مسقط رأسه في القريتين صباح الجمعة ٢٠٠٧/٥/١١ وسط مشاعر من الذهول والحزن العارم وعدم التصديق، وفي القريتين جرت الصلاة عليه في الجامع الشرقي، ومن ثم سار موكبه إلى مقبرة البلدة حيث جرى دفنه.

حضر التشييع الآلاف من أهل القريتين، ومن رفاقه وأصدقائه الذين تقاطروا من شتى المحافظات السورية، وكان بينهم ممثلون عن اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين من شتى أرجاء الوطن...

وقد ألقى الرفيق حمزة منذر (أبو معتصم) كلمة مؤثرة باسم رفاق الفقيد وأصدقائه، وباسم اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين، قال فيها:

- يا أبناء مدينة القريتين الثكلى بأحد أنبل وأشجع شبابها هشام باكير!

-أيها المعزون، ويا رفاق الفقيد ..السلام عليكم جميعاً..

موت مفاجئ، موت قاس.. وليس بمقدور أحد في حضرة الموت أن يفّديك أيها الرفيق الغالي، أيها الصحفي الشيوعي الشجاع، والمثقف الباسل والمدافع عن المظلومين وقضاياهم بشجاعة وإخلاص دون خوف أو وجل، وهذه صفات الرجال الرجال، وصفات المناضلين الحقيقيين والمفعمين بحب أوطانهم والناس الفقراء، أصحاب الكرامة وعزة النفس، وهم الأكثرية الساحقة في هذا الوطن.

لن أقول كما البعض: ليتني لم أتعرف عليك يا هشام، بل ليتني تعرفت عليك وعلى أمثالك الشجعان منذ وقت بعيد، فأنت من الذين إذا قالوا صدقوا، وإذا وعدوا وفوا، وإذا استُنصروا نصروا ولبوا النداء.. فأنت من تنطبق عليه صفات المناضل الذي يعدي الآخرين من حوله بالشيم النبيلة والأخلاق الرفيعة، حيث كنت دائماً بارد الرأس، دافئ القلب، نظيف اليد ..

لقد كنت يا هشام متخصصاً في التراث العربي والإسلامي، فأغنيت صحيفة قاسيون ومعارف قرائها وعددهم بالآلاف، بالمعلومة الصادقة والرأي السديد، بزاويتك الأسبوعية التي حملت عنوان «من التراث»، وبقلمك الملتزم بشعار: «كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار»، وقدمت آراءك الشجاعة والتقدمية النابضة بالوطنية والمفعمة بالإنسانية ومقاومة الاحتلال. وليعلم الجميع - وهنا أقدم شهادة والشهادة أمانة - إن دمشق ومثقفي دمشق عرفوا هشام من أوائل الذين نظموا وقادوا المظاهرات في شوارع العاصمة ضد الغزو الأمريكي-الصهيوني للعراق، والغزو الصهيوني للبنان، ودفاعاً عن شعب فلسطين، ومن أجل تحرير الجولان بالمقاومة الشعبية، وضد التهديدات الأمريكية - الصهيونية المتصاعدة لسورية.

وشهادة أخرى في هشام تعبر عن وفائه لمسقط رأسه مدينة القريتين يجب أن نشير لها، لقد كان الراحل الغالي شديد الافتخار والاعتزاز بمدينته وبناسها ورجالها الشجعان وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية. والحقيقة أنه مثلما كان هشام من أهل الوفاء، هكذا كانت مدينته وستبقى، حيث أعطته أصواتها في الانتخابات لمجلس الشعب، ولا أحد منكم يا أبناء القريتين يجهل أن هشام ليس من تماسيح المال أو من محدثي النعمة والنهابين مشتري الأصوات، بل أعطيتم أصواتكم له لأنه من عامة الشعب، صادق فيما يعلن، ومخلص لمبادئه التي تعلّم أحرفها الأولى هنا في هذه المدينة، بين ناسه وأهله وجيرانه ومعارفه وأقرانه.. أولئك الذين بقي هشام يفاخر بهم حتى آخر يوم من عمره...

وقد انطبق عليه المثل الشعبي: «من راد النجا من غير ربعه ما نجا».

بسم اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين، والتي كان الرفيق هشام أحد قادتها، نتقدم إليكم بالتعزية، ونقبل العزاء معكم، والعزاء الأكبر، هو ما تركه لنا الفقيد من مثل ومواقف نبيلة لا ننساها ما حيينا، ونرجو الله ألا يفجعكم بعزيز. ■■

الشيخ الشيوعي هشام الباكير في ذمة الخلود

غيّب الموت مساء الخميس ٢٠٠٧/٥/١٠ عضو رئاسة مجلس اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين، عضو أسرة تحرير صحيفة «قاسيون» الرفيق هشام الباكير (أبو سعيد)، إثر حادث أليم على طريق دمشق – حمص.

كان الرفيق هشام شيوعياً مميزاً ومخلصاً، وقد انتخبه الاجتماع الوطني السادس للجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين الذي انعقد في ٢٠٠٦/٨/١١ عضواً في مجلس اللجنة الوطنية، التي انتخبته بدورها عضواً في رئاستها، وقد مارس الرفيق الراحل هشام الباكير نشاطه في هذا المجال بكل إخلاص وجدية وإبداع، وكان آخر مثال لذلك خوضه انتخابات مجلس الشعب الأخيرة عن دائرة حمص.

رحل عنا الرفيق هشام بشكل مباغت، في الوقت الذي تحول فيه إلى ظاهرة متميزة في الصحافة الشيوعية السورية كمتخصص في التراث العربي والإسلامي، مستخلصاً منه الدروس التي تحض على التمسك بالكرامة الوطنية والدفاع عن الأرض والإنسان، ففي زاويته الأسبوعية في «قاسيون» (من التراث)، أغنى الصحيفة والقرّاء بقلمه الملتزم بقضايا الوطن والمواطن، وقدّم آراءه الجريئة والتقدمية النابضة بالوطنية، المفعمة بالإنسانية ومقاومة الاحتلال وأعوانه..

أثبت الرفيق هشام الباكير (الشيخ الشيوعي) من خلال التزامه النضالي في صفوف الشيوعيين، وعبر موقعه في عضوية رئاسة مجلس اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين، أن النضال الوطني والطبقي قادر على كسر الحواجز الوهمية بين كافة المناضلين من أجل الحرية والتقدم والعدالة الاجتماعية..

إن اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين، وأسرة تحرير صحيفة «قاسيون»، وآل الفقيد في مدينة القريتين ينعون ببالغ الأسى الرفيق الشيوعي الصلب هشام الباكير الذي أحدث رحيله المفاجئ صدمة حقيقية لكل رفاقه وأصدقائه وقرائه..

وقد تقبل آل الفقيد ورفاقه وأصدقائه التعازي أيام ١١- ١٢- ١٣ في القريتين..

وأيام ١٤- ١٥- ١٦ أيار في داره بدمشق – مخيم اليرموك .

لفقيدنا الخلود. ولنا نحن - رفاقه وأهله وأصدقاءه – الصبر والسلوان ..

دمشق ٢٠٠٧/٥/١١

■ **اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين**

فيمن عشق الوطن.. وعفّ!! هشام باكير.. وداعاً

.. صباح الجمعة.. وقبيل صدور قاسيون.. وأنا أقرأ في كتاب قصة الاستبداد لأنظمة الغلبة في المنطقة العربية، فاجأني اتصال أحد الرفاق ينعيك لي ويعزيني بوفاتك.. وتحديداً كان المقطع يتحدث عن مقتل عمر بن الخطاب، وصراع التناقضات بين الارستقراطية القرشية الغنية.. والفقراء والمستضعفين الذين رفضوا خلافة عثمان.. وكانت أول فقرة في زاويتك التراثية الأخيرة، فيمن عشق.. وعف. عن عمر ذاته وهو يتفقد أحوال الناس.

هشام باكير.. يا من عشقت الوطن و عففت.. يا من كنت تقرأ ما بين السطور والكلمات في التراث.. لم أجد لرثائك إلاّ إيراد هذا المقطع من الكتاب الذي يتناول التراث الذي أحببته.. والذي كانت نهاية الفصل فيه تقول:

«انتهى عهد عمر.. والدولة الإسلامية تخطو حثيثاً نحو القوننة.. والمؤسساتية، وبالاحتكام للقوة في الاستخلاف.. أوصدت مجريات الشورى التي نسبت لعمر، والباب أمام حاكمية الشعب، محتكري السلطة مدى الحياة بصلاحيات قمعية، لأن القوة صارت حكماً يعطيهم الحقّ بأن يمتلكوا كل الأشياء غنيمة.. ويفعلوا ما يشاؤون..» ص٣٥٦

هشام باكير.. ها هو اليوم، التاريخ يعيد نفسه.

الارستقراطية الداخلية الجديدة تماسيح المال يحاولون الهيمنة على الوطن بالمال، ويوصدون الباب أمام المشاركة الديمقراطية.

والارستقراطية العالمية.. تحاول الهيمنة على العالم.. بالقوة والمال، وتوصد الباب أمام الشعوب في محاولتها تقرير مصيرها .

هشام باكير.. عرفتك في دير الزور، وعرفوك فيها من خلال عشقك للمطالعة والتراث.. عندما كنت تؤدي خدمة الوطن، وعرفتك أكثر.. في قاسيون.

هشام باكير.. اعتزلتنا !! وأنت في باكورة عطائك.. فقدناك!؟

هشام باكير.. وداعاً!

■ **زهير مشعان - دير الزور**

عذراً هشام.. سنستمر!

.نعم سنستمر نعمل، ونقاوم، ونناضل، ونعطي، ونتجاسر، ونفتدي، نسهر، ونمرح، ننكسر، ونحزن، وننهض، ونبتسم استهزاءً وزهداً- مثل محياك دائماً- ونموت..! لينهض من تركناهم وهم يبتسمون استهزائاً وزهداً- مثل محياك دائماً..

لا أعلم إن كنت الآن أخاطبك أم أخاطب هذا الموت الأرعن الذي اختطفك ويختطفنا تباعاً.. بأزمان قياسية.. وبتحد جلف؟!

تسعة وثلاثون عاماً يا هشام! تسعة وثلاثون من تقلبات الهوى وتنوع مصادر المعرفة والانتماء، ولما استقرت بك الهوية بتوقيعك المفضل «شيخاً شيوعياً» باحثاً في التراث بقراءة مختلفة، تختار حفرة تحت التراب، تستوقفنا قليلاً أو كثيراً بعد موكب جنائزي يخترق ما يشبه اللامكان نحو مسقط الرأس مع بعض طقوس، ثم نمضي في عملنا اليومي، ومن ضمنه البحث عن تعويض معنوي وربما مادي للفراغ المباغت الذي أحدثه رحيلك المبكر.

لا وقت للفجيعة بعد أن أدمناها وأدمنتنا.. لا وقت للحزن إلا في لحظات الشرود وعدم التصديق.. بالأمس كان هنا، وقبله كان هناك، هنا تبادلنا السلام والعناق على عجل واتفقنا على لقاء قريب.. وهناك كان يداخل حول التراث الإسلامي، وهنا كان يشكل مجموعة لوحدة الشيوعيين.. وهناك كان يتدخل لصالح طالب خدمة منه (وهم كثر)، وهناك هناك، حسب الرواية، وقبل أسبوعين فقط كان يصرخ متحدياً بصلابة الشيوعي الواثق من خطه وانتمائه وسط مركز انتخابي مُنع فيه انتخابه: «أنا هشام باكير مرشح اللجنة الوطنية لوحدة الشيوعيين السوريين لعضوية مجلس الشعب وهؤلاء أهلي يريدون انتخابي ومن لديه اعتراض فليخبرني..!»

هنا.. وهناك.. ويستمر ضغط الذاكرة على نحو متقطع.. لكن لا وقت للفجيعة بعد أن أدمناها وأدمنتنا..!

ما يحز في نفسي يا هشام أني يوم الأربعاء قبل يوم واحد من رحيلك، عندما التقينا بالمكتب وكانت المرة الأولى التي التقي فيها بك بعد عودتك من مدينتك بانتهاء الانتخابات، لم أدرك أنها ستكون الأخيرة وإلا كنت أطلتها أكثر: قبلات سريعة في الموزع بين غرفتين أخذت كل منا إلى عمله، «الحمد على السلامة عن جد بعد الانتخابات، صار فينا نشوفك أكثر من أول وجديد.. على فكرة لسا بدي منك القصة الفلانية...». «أيه.. أكيد ولو..بنشوف بعض، أصلاً مشتاقلكم كتير!»

ولكننا (وبكل بساطة) لم ولن نلتقي..!!

يعز الفراق.. ولكن لا وقت للفجيعة بعد أن أدمناها وأدمنتنا.. بمشاهد الموت في فلسطين والعراق ولبنان، بنظرات الوداع الأخير لمن رحلوا تباعاً ممن نحبهم في أوساطنا أسرياً واجتماعياً وحزبياً و«قاسيونياً»..

هنا وجع من نوع خاص.. ما سر هذه الجريدة حتى الموت يتنمر عليها..؟ خلال عامين فقط رحل عادل الملا محرر الشؤون العربية وتابعنا من بعده.. لحقه كمال مراد مخرجها وسكرتير تحريرها وأحد أعمدتها الأساسية وتابعنا من بعده، ثم سهيل قوطرش عضو هيئة تحريرها ومسؤول صفحاتها النقابية وتابعنا من بعده، والآن هشام باكير الذي قدم لها إضافة تميزها عن كل الصحافة الشيوعية في سورية والعالم ببحث التراث بقراءة معاصرة، وهانحن سنتابع من بعده.. وسنرحل من بعده تباعاً ليأتي من يواصل من بعدنا نحن أيضاً..

كنا أول من رفع شعار «المقاومة الشاملة»..؟! ويبدو يا رفيق هشام أنه بات علينا في تيار وحدة الشيوعيين السوريين أن نضيف لجبهات ذاك الصراع جبهة الموت.. لنبتسم استهزاءً وزهداً كما (كان) محياك دائماً.. ونستمر كطائر الفينيق.. لا وقت للفجيعة.. حزننا وفخرنا في آن معاً أنك كنت في صفوفنا.. وعهدك بنا أن نتابع ونستمر في نضالنا.. وهو ما سيكون!

■ **عبادة بوظو**

عالواكف.. يموت الشجر

بين المخيّم.. والحجر
ضحكة الشيخ ما تنام
يعشك محطات السفر
تتسابك مع الأيام
تمزح ما تِمل السّهر
وتغني بحزن الحمام
دمّرني.. لو تدري الخبر
يرحل بسرعة.. هشام
مو قضاء.. ولا قدر
جذب.. والصبر أوهام
تواعدنا.. صبح وبحر
فرات.. العاصي.. والشام
دمعي يا غالينا.. قهر
من بعدك إحنا أيتام
وكتبت يدمك عن عُمَر
وعلي وشيفان وإمام
وللوطن غنيت.. وشعر
وكاونت كل الاصنام
حبيت كل لحظة تمر
وعشت بحياتك مقدام
وتركت أجمل أثر
يا عطر جوري.. وخزام
وخلفت من بعدك زهر
سعيد .. أمير.. وسلام
عالوا كف.. يموت الشجر
أو غدر تموت الأعلام
الدنيا ..مركبها خطر
وتغرق بلحظه الأحلام

■ **فاضل حسون - أبو سلام**

- **الشيخ**: لقب الرفيق الراحل هشام
- **سعيد .. وأمير وسلام**.. أولاده

الأسعار في ارتفاع... والفقر في ازدياد والمستهلك بلا حماية.. والحكومة نائمة

كلما حدثت أزمة يتكشف مجدداً سوء سياسة الحكومة التي لم يعد بإمكانها إخفاء خيباتها وإخفاقاتها المتتالية جراء اعتمادها سياسة اقتصاد السوق المنفلت التي تؤكد انسحاب الدولة من لعب دورها في المجال الاجتماعي، ولتعود مجدداً مسألة المستوى المعيشي إلى قمة أولوياتنا كصحافة وطنية بعد الارتفاعات المريبة لمجمل أسعار المواد الغذائية الصيفية التي كانت في يوم من الأيام الغذاء البديل لتلك المواد التي ليس بإمكان المواطن المغلوب على أمره شراءها أو رؤيتها حتى في المنام وسط تجاهل حكومي، متعامياً عما يجري حوله من انفلات في الأسعار وازدياد في الفقر الذي وصل إلى حده المرعب.

أسعار بلا رقيب

كلما أدلى مسؤول في الحكومة بتصريح يبدأ بجمله الرنانة ليتصدر بها صدر الصحف الرسمية وعناوينها «فتحنا باب الاستيراد» تم تحرير الأسعار وأنه قانون العرض والطلب، مواكبة السوق العالمية، التوازن في السعر المحلي: فكانت النتيجة من جد لم يجد ومن زرع لم يحصد حيث تصاعدت أسعار معظم المواد الاستهلاكية منذ أوائل ٢٠٠٦ بنسبة ٦٠٪ ولم يحصل أي ارتفاع في الأجور مما أوصل بعض المواطنين إلى حافة الهاوية خاصة بعد موجة الأمطار الأخيرة التي أتلفت الكثير من الأراضي الزراعية في معظم المحافظات وأحدثت سيولاً كبيرة في المدن وأزهقت أرواحاً بشرية في ريعان الشباب،والآلاف من الثروة «الحيوانية» لا لتكشف فقط عورة الحكومة ، بل لتكشف أيضاً جهل وتخلف نظام أرصادنا الجوي الذي لايستطيع أن يدلي بتنبؤاته الخجولة إلا بعد وقوع الكارثة.

مواد خمس النجوم

وبجولة على معظم أسواق العاصمة للوقوف على الأسعار الحقيقية لبعض المواد الغذائية والصيفية بالأخص كان هناك تراوح بين منطقة وأخرى كدليل آخر على زيف مقولة حماية المستهلك التي لم نجد لها مكاناً من الإعراب عند معظم الناس الذين التقينا هم في جولتنا . فكانت جميع المواد لها تعرفتان من الأسعار أو أحياناً ثلاثة.

والجدول الظاهر لكم يوضح بعض الأرقام الحقيقية المتناقضة فيما بينها :

مستوى المعيشة

إن تحسين مستوى المعيشة يحتل حيزاً رئيسياً في المجال الاجتماعي لما له من تأثير مباشر على المجتمع وبنيته ومزاجه ومواقفه ولأن الحد الأدنى لمستوى المعيشة يقاس عادة بسلة الاستهلاك المبنية على مستوى الأسعار الملموس كما هو في الجدول السابق، ومشروع الخطة الخمسية العاشرة يعتبر أن خط الفقر الأعلى هو /٢٠٥٢/ل.س للفرد شهرياً . ووفق المكتب المركزي للإحصاء يوجد ما يزيد عن ٦٠٪ من العاملين في الدولة تقل رواتبهم عن /٧٥٠٠/ل.س فإن نسبة الفقراء تصل إلى حوالي /٥.٣/ مليون نسمة وإذا انطلقنا من الواقع الملموس فإن ارتفاعات الأسعار كان بنسبة ٦٠٪ أيضاً نصل بالاستنتاج إلى أن المواطن السوري في ظل هذه السياسة السعرية العجيبة ضمن عائلة مؤلفة من ستة أفراد بحاجة إلى ثلاثين ألف ليرة لكي يعيش فقط.

مواطنون بجيوب فارغة

وا صاحب أحد المحلات في أفخم أسواق دمشق المعروفة يقول: صحيح أن نوعية المواد تلعب دورها لكننا مقتنعون بالأسعار التي نضعها ولا أحد يحاسبنا نظراً لسمعة السوق ومرتاديه اللذين يعتبرون أصحاب الجيوب المليئة ونحن مرتاحون فلا أحد يفاصل على سعر أية مادة بالعكس أحياناً يسرون بشراء مادة ذات سعر خيالي مثل الكمأة التي تباع بـ ٦٠٠ ل.س أولا الأكادنيا بـ١٦٥ ل.س أما الفقير فليس له مكان في هذا السوق والأفضل له أن لا يوجع رأسه ورأسنا أيضاً .

السلعة	السعر	السلعة	السعر
الجارنك	75 - 125	كوسا	15 - 25
الكمأة	400 - 600	فاصولياءمالطية	45 - 75
موز	40 - 75	باذنجان بلدي	35 - 50
التفاح الشتوي	25 - 75	بازلاء	15 - 50
البرتقال	25 - 50	ملفوف	15 - 25
زهرة	13 - 35	كريفون	38 - 75
الفول	40 -	ليمون	35 - 50
فليفلة حمراء حلوة	150 -	بصل	20 - 35
فليفلة	30 - 60	بطاطا	20 - 35
بندورة	20 - 35	فريز بلدي	50 - 75
خيار	20 - 35	أكادنيا	145 - 165

السيدة منى تقول لا يمكن تفسير ما يجري ولم يعد بإمكاننا العيش بهذه الطريقة تحت ضغط الديون التي أصبحت يومية فزوجي موظف راتبه ٩ آلاف ليرة ومجرد الذهاب إلى أية بقالية لشراء بعض المواد بالكيلو الواحد لكل صنف لا يكفيك /٥٠٠/ ل.س أي بصراحة نصل لآخر الشهر ونحن مدينون بأكثر من ٧٠٠٠ ل.س الأمر الذي لم يعد يطاق أبداً .

أما السيدة نسرين معلمة مدرسة ابتدائية وأم لخمسة أطفال تقول لا راتبي ولا راتب زوجي مجتمعين يكفيان ،فقد أصبح كل شيء غالي الثمن لضعف الرقابة الحكومية على السوق خاصة بعد إصدار القانون (١٢٣ ـ ١٥٨) وتعديلات القانون (٤٧ ـ٢٢) اللذين خفضا عقوبة المخالفة التموينية من السجن إلى الغرامة المالية فغرقت الأسواق في فوضى كبيرة ! فأين الإصلاح وأين المحاسبة ونحن بناة الأجيال تهان كرامتنا .

السيد حيان. يقول أصبحت حياتنا جحيماً وسيناريو الصراخ الذي يصل إلى الجيران أصبح مسلسلاً يومياً

حلقاته تمتد من الصباح إلى المساء ومنذ عشرين سنة ونحن نقول السنة القادمة تكون نهاية مآسينا مع الدين وتأتي السنة التالية ونحن أكثر ديوناً وأكثر مأساة وأصبح بعض أنواع الفواكه حلماً، إلا في بعض المناسبات التي تزداد فيها ديوننا ونحن مجبرون. الله لا يذكر بالخير هذا الذي يسمى اقتصاد السوق الاجتماعي ،ويا ليته لم يكن ،لم يترك للاجتماعي شيئاً ولهف السوق كله بحجج غريبة.

أما المواطن أحمد فيقول نحن في شهر أيار ومازال كيلو الخيار /٢٥/ ل.س وأكثر، الله يرحم أيام زمان أصبح كل من التموين والرقابة والمحاسبة فعل ماضي وجمعية حماية المستهلك التي عرضت سيارتها في الشوارع ،مهمتها مراقبة الناس ذهاباً وإياباً، وهاتفها معظم الأحيان من دون حرارة وإن وجدت فلا حول ولا قوة

تجار جملة أم مفرق

لدى سؤالنا للتجار عن المسؤول عن ارتفاعات الأسعار الأخيرة لم يعترفوا بالارتفاعات أولاً ثم استغربوا من سؤالنا بدعوى أن وضع البلد بشكل عام مرتبط ببعض أسعار المواد الغذائية الأولية مثل شقيقاتها من العقارات والأراضي والأدوية واللحوم وأنهم والحكومة متفقون على نقطة مهمة وهي أن مستوى دخل المواطن السوري قد ارتفع بشكل جيد وملحوظ، وهذه الأسعار مطابقة لهذه «الحلحلة» في البلد ولم يعد هناك هذا الرقم المخيف بالنسبة للفقراء، أما ما يخص اتهامنا بالاحتكار فهو غير صحيح، لأننا وإن احتكرنا مادة فذلك من أجل تلبية السوق والمواطن في الوقت المناسب ،ولكن بالأسعار التي نريدها ونقررها وهذا حقنا الشرعي

اقتصاد سوق اجتماعي فذ!!!

إن السياسة الاجتماعية الصحيحة هي التي توجه السياسات الاقتصادية ولكن السياسة الوفاقية بين السوق والجانب الاجتماعي ما تزال تعاني شرخاً كبيراً ومجموعة من العلاقات الشائكة والمعقدة جداً فالاقتصاد السوري وخاصة بعد تبني الحكومة في الخطة الخمسية العاشرة لمفهوم اقتصاد السوق الاجتماعي، فأصبحت الحكومة والتجار في واد ،و حماية المستهلك في واد، والمواطن في أسفل الواديين وبحاجة إلى عملية إنقاذ من مخالب الاثنين معاً والعودة بالأسعار إلى ما كانت عليه على أقل تقدير ولعل كاتب هذه الأسطر الذي لم يذق طعم التفاح الذي وصل سعره إلى ٧٥ ل.س منذ أكثر من عشرة أيام وتبخر راتبه منذ اليوم السابع من دخوله شهر أيار بحاجة إلى أن يعيش مثل بقية البشر من أجل أن تبقى كرامة الوطن والمواطن فوق أي اعتبار

■ **علي نمر**
Ali@Kassioun.org

استهتار بالذاكرة.. والتاريخ

نتوجه مباشرة للسيد وزير الثقافة.. والسيد محافظ دير الزور.. وندعوهم للإطلاع على مواقعنا الأثرية وما تعانيه من إهمال، والنهب الذي طالها ويطالها، سواء تلك المواقع التي جرى فيها التنقيب سابقاً.. أو التي صنفت كمواقع ولم يجر فيها التنقيب، وعلى سبيل المثال:

١ ـ قلعتا حلبية وزلبية على ضفتي الفرات، رغم تاريخهما العريق لم ترمّما، ولم تجر إنارتهما وتخديمهما كموقعين أثريين سياحيين.

٢ ـ تل أبو نهود في موحسن.. لا يزال يستخدم كمقبرة.. كما تعرض للتشويه بمحاولة إقامة بناء إسمنتي فوقه أدى إلى تهدم البناء الأثري الموجود.. ولا يزال العمود الإسمنتي موجوداً حتى الآن. علماً أنه سبق للأهالي قديماً العثور على العديد من اللقى الأثرية في الموقع.

٣ ـ قلعة الرحبة (الميادين)، قلعة مالك بن طوق.. لا يكفيها الإهمال الذي تعانيه فقط، وإنما تقرر مؤخراً إقامة منطقة صناعية في جوارها!! ألهذا الحد.. وصلت اللامبالاة؟!

وهذا حال أغلب المواقع الأثرية، في بقرص، وماري، وغيرها من المواقع التاريخية.

إن حماية الآثار والعناية بها وتخديمها، هو أقل ما يمكن عمله لهذه الصروح والأوابد.. فهي ليست ملكاً لأحد وإنما ملك الأجداد والوطن.. وملك الشعب بأجياله القادمة.. فلمصلحة من هذا الاستهتار بالذاكرة والتاريخ، بينما تصرف الأموال الطائلة على مهرجانات مطربين.. ومطربات من الدرجة العاشرة؟!

■ **دير الزور – مراسل قاسيون**

البوكمال.. فوضى عارمة

موضوع المرور في البوكمال قديم جديد، كتب عنه كثيراً وخاصة على صفحات صحيفة «قاسيون»، ولكن على ما يبدو أن المعنيين في الأمر لهم أذن من طين وأخرى من عجين، ولا حياة لمن تنادي، ربما يعود ذلك لسببين:

إما أنهم غير قادرين على حل هذه المشكلة البسيطة، أو أنهم غير مبالين لمآرب أخرى؟؟

فهل من المعقول أن تتحول شوارع البوكمال إلى محطات تحميل وتنزيل للركاب من أبناء القرى المحيطة بالبوكمال بين البيوت وأمام المدارس وفي الحارات والأزقة، وعلى عينك يا تاجر!!! قد تكون هذه الحالة طبيعية عندما لا يوجد محطة، لكن في البوكمال هناك محطتان، محطة قطاع عام مساحتها أكبر من مساحة محطة البولمانات في مدينة حلب، وأخرى قطاع خاص سمح بإقامتها بطريقة أو أخرى بحجة الحاجة الماسة لها .. وبعد إنجازها لم يقم المسؤولون بإجبار أصحاب السيارات باستخدامها، ربما لغاية في نفس يعقوب، ومما زاد في الطين بلة، تلك الحديقة المربعة الشكل التي أقامتها بلدية البوكمال في الساحة العامة وعلى كامل مساحتها، والتي تخلو من أية لمسة جمالية أو سمة حضارية، وعلى العكس، ساهمت وبشكل كبير في أزمة المرور، فتحولت إلى مقاهي وبسطات لبيع الألبسة البالية والخضروات بمنظر مقرف؛ ناهيك عن سيارات المكرو التي تعمل كوسائط نقل داخلي والتي وصل عددها لأكثر من ستين مكرو على خط واحد لا يوجد غيره، فأغلب أصحاب هذه المكرويات لا يملكون ترخيصا بذلك، ناهيك عن سائقيها وخاصة بعد نهاية الدوام الرسمي معظمهم شباب لا يتجاوز عمر الواحد منهم خمسة عشر عاماً ولا يحملون إجازات سوق.

أمام هذه الحالة المزرية أصبح المطلوب من المواطن في البوكمال أن يركب جناحين ويستعمل الطيران في تنقلاته، فالأرصفة مشغولة بالبسطات، وكذلك الشوارع التي تعرض عليها عربات الخضار والفواكه، والبسطات الثابتة والتي تشغل مساحات كبيرة منها ..

عبث أصواتنا ونحن نصرخ، وما من مجيب، فإلى متى يبقى المواطن البوكمالي مهملا ومركونا في زاوية لا ترى حتى في المجهر؟! ألا يجب أن تكون كرامة الوطن والمواطن فوق كل اعتبار. ■■

مرور دير الزور.. ما العمل؟!

يردد أهالي دير الزور نادرة عن أحد المسؤولين في وزارة الداخلية، تفيد بأن من يقود سيارة في دير الزور يمنح رخصة قيادة بدون فحص. والسبب أنه يكتسب خبرة هائلة نتيجة المواقف التي يتعرض لها! وبعضها يشيب الرأس!!

السبب الأساس في ذلك هو الفوضى المرورية «العارمة». فالسيارات تقف ذات اليمين وذات الشمال، وما يبقى من الشارع يكفي لعبور سيارة بصعوبة «وكله» تحت سمع وبصر رجال المرور!؟

الدراجات النارية غير خاضعة لأي قانون، فهي تسير بالاتجاه المعاكس وبسرعات عالية، ولا تتقيد بإشارات المرور، وسيارات الأجرة «التكسي» تقف حيث يشاء السائق، في وسط الشارع؛ عند المفارق والإشارات. أما ميكروباصات النقل الداخلي فحدث ولا حرج! فهي لا تلتزم بمواقف محددة؛ ولا بزمن محدد، وحيث يوجد الراكب تقف، وتمشي بحسب مزاج السائق الذي يتحفنا بالألفاظ السوقية، والأغاني الهابطة، بالإضافة للاستعمال العشوائي للمنبه (الزمور) ذي الصوت العالي المخصص للشاحنات، ناهيك عن إشغالات الأرصفة التي تجبر المواطن على السير في وسط الشارع. لذا تكون أعصاب الجميع مشدودة ومعرضة للانفجار بأية لحظة؛ في معارك لا تحمد عقباها . والمتتبع للحوادث المرورية وخاصة الدراجات النارية يكتشف أنها تودي بحياة شباب يومياً؛ أو تسبب لهم إعاقة. وسبق أن توجهنا للمحافظ وقيادة الشرطة؛ ونكرر ذلك بأن تكون الحلول دائمة؛ وليس عبارة عن حملة لمدة يوم أو يومين؛ ثم تتوقف كالسابق. ولا ندري ما السبب؟! فهل تقيدها ضد مجهول؟!

وهذا الحال ينطبق أيضاً على مدينتي الميادين والبوكمال.. وكله أيضاً على عينك يا تاجر.. فما العمل؟؟

■ **زهير مشعان - دير الزور**

نعي وتعزية

تتقدم أسرة تحرير صحيفة «قاسيون» من الرفيق محمد علي طه (أبو فهد) بأحر العزاء بوفاة والدته السيدة الفاضلة هدية عبد القادر سلطان، وتتمنى لأولادها وأحفادها العمر المديد والصبر والسلوان.

وزارة الزراعة.. مؤسسة تنهار.. والوزارة تتفرج!؟

أما من حلول؟؟

كم عدد الذين يعلمون بأن في سورية توجد مؤسسة اسمها المؤسسة العامة للأسماك؟

أعتقد أن العاملين في هذه المؤسسة هم وحدهم الذين يعرفون المؤسسة. ومن هنا نفهم كيف يجري دعم مؤسسات عامة دورها تأمين الأمن الغذائي، نفهم كيف أن ثروتنا من الأغنام تتعرض الآن لكوارث نتيجة مواسم الجفاف والهدر الكبير من الطاقات المختزنة في أجسام الأغنام والماعز نتيجة سيرها مسافات طويلة بحثاً عن الكلأ والمرعى مما يؤدي إلى تردي حالتها الصحية والتناسلية والإنتاجية. ونفهم هدر المبالغ الكبيرة في عملية نقل الأعلاف والماء من مناطق الاستقرار الزراعي والمدن إلى البادية.

نفهم ذلك كله.

ولكن لا نفهم، ماذا يعني انهيار مؤسسات إنتاجية كبرى، كالمؤسسة العامة للأبقار، والمؤسسة العامة للأسماك.

المؤسسة العامة للأسماك أنشئت في السبعينات وتضم ٢٥١٠ عامل وهي تنتج أسماك الكارب والمشط والمخطط الكامل ١٧١٥ المخطط ونسبة التنفيذ ٢٢٪ فقط، والتسويق الفعلي يبدأ من ١٠\١ من كل عام وينتهي في ١٥\٥ من العام التالي.

يقول ابراهيم عبيدو رئيس الاتحاد المهني للصناعات الغذائية:

- هناك عراقيل في طريق المؤسسة تمنعها من تنفيذ خططها لزيادة الإنتاج والمردود الاقتصادي لأعمال المؤسسة وكذلك لتنفيذ البنود التي نص عليها النظام الداخلي للمؤسسة في مجال البحث العلمي.

١ -منع المؤسسة منذ سنوات عديدة من الاتصال بالمنظمات العلمية الدولية، مثل الوكالة اليابانية للتعاون الدولي «جايكا» والهيئة الألمانية للتعاون، والمنظمة الدولية للزراعة والأغذية «الفاو» والمنظمة العربية للتنمية الزراعية، مما أدى إلى أضرار كبيرة لحقت بمسيرة المؤسسة. ومن أهم الإنجازات التي حققتها المؤسسة سابقاً عن طريق هذا التعاون:

إدخال أسماك الكارب العاشب والكارب الفضي وسمك الترويت.. والنجاح في إكثار هذه الأنواع صناعياً لأول مرة في سوريا منذ الثمانينات، بينما نجد أن الجهة الأخرى التي أنيط بها مشروع تطوير الثروة السمكية لم تحقق أي شيء. بل خلقت المعوقات في وجه المؤسسة.

٢ -معاناة مزارع المؤسسة من نقص الماء مما أدى إلى تحول الكثير منها للتغذية بالضخ، وهذا أدى إلى زيادة التكلفة. عدم التعاون في هذا المجال مع الجهات المسؤولة عن المياه، مديريات الموارد المائية، بسبب عدم تفهمهم حتى الآن لآلية ترشيد استخدام المياه. حيث أن إمرار مياه الري على مزارع الأسماك ،خاصة مزارع الدولة التي لا تقدم إلا أعلافاً نظيفة لا يؤدي إلى أية مساوئ لها بل على العكس يزيدها خصوبة وغنى بالمغذيات من نواتج الأسماك بالآزوت الفعال والمفيد للزراعات مما يقلل من كمية استخدام الأسمدة ويساهم في نظافة البيئة وترشيد استخدام المياه.

٣ -ارتفاع أسعار المواد الأولية المستوردة «طحين سمك، كسبة، صويا» والعمالة الزائدة. وقد توقفت بسبب هذا الواقع مزارع عديدة للمؤسسة علماً أن كتلة الرواتب والأجور ١٠ مليون ل.س دون مردود اقتصادي.

❖ عبد الناصر كعيد رئيس نقابة التنمية الزراعية يقول حول هذا الموضوع:

- نقترح الحفاظ على هذه المؤسسة وتطويرها ،كونها من المؤسسات الهامة التي تعمل على دعم الاقتصاد الوطني بتوفير مادة السمك بالأسعار التي تتناسب وحاجة المواطن وفق عملية توازن في السوق المحلية والحفاظ على سعر الكيلو غرام الواحد من السمك وذلك من خلال تذليل المعوقات التالية:

١- استبدال الآليات القديمة.

٢- إنشاء معمل أعلاف خاص بالمؤسسة بدلاً من التعاقد مع القطاع الخاص والعام حيث يؤدي هذا إلى انقطاع الأعلاف بسبب فقدان السيولة المالية.

٣- إقامة مزارع شاطئية بحرية لتأمين الأسماك البحرية وهناك مشاكل مستعصية وهي تهريب الأسماك من تركيا إلى الأسواق السورية.

وهكذا مؤسسات كبيرة في كل المعايير تنهار أمامنا الآن دون أن نتخذ حلولاً!!

■ **نزار عادلة**

إلى خطوات عملية لاحقة

الانقسامات المتلاحقة في الحزب الشيوعي السوري، والسجالات والاتهامات المتبادلة، والإغراءات بالمناصب والمكاسب، كي لا يذهب هذا الرفيق إلى الطرف الآخر، أو يجر آخر إلى طرفه، قوّت من منصب رفاق كل قاعدة لفريقها، وباتت تنظر إلى الطرف الآخر نظرة عدائية.

إن جميع الشيوعيين السوريين، داخل الفصائل أو خارجها من التاركين، ومعهم القوى الوطنية والقومية والتقدمية، يتألمون ويتأسفون لرؤية الحزب الشيوعي، ذي التاريخ النضالي الوطني والطبقي العريق، قد تشرذم وهزل، ويعاني عزلة جماهيرية فائقة، وابتعد عن أداء دوره الوظيفي في حياة البلاد.

ولعلي لا أجافي الحقيقة، إن قلت: إن سنوات الراحة والدعة والمكاسب والمناصب، التي عاشها الشيوعيون وتكاد تصل إلى عقود أربعة، قد أضعفت اندفاع الشيوعيين في نضالهم ونشاطهم وارتباطهم بحزبهم، وأوهنت تقاليدهم الثورية، التي اكتسبوها من معاركهم السياسية والطبقية، ومن عهود الملاحقة السرية خاصة.

إن الاحتفال الكبير بعيد العمال العالمي، الذي نظم بشكل مشترك بين شيوعيي وأصدقاء كل من «قاسيون» و«النور»، بعث البهجة والحبور في نفوس الشيوعيين، وقوّى لديهم الطموح للنشاط والنضال المشترك، الذي من شأنه أن يشكل قاعدة راسخة، تحقق أملهم في توحيد الحزب مستقبلاً. وكم كانت الفرحة أكبر لو أن فصيل (صوت الشعب) شارك في تنظيم هذا الاحتفال.. ولكن..

الشيوعيون السوريون، ينهلون من معين واحد هو الماركسية اللينينية، ولا خلافات نظرية أو سياسية حادة بينهم، لذا ما يوحدهم في حزب واحد وحيد، هو أكبر وأهم مما يفرقهم إلى فصائل، من أجل التصدي - وهذا واجب وطني وحزبي - للمهام الوطنية والاقتصادية والديمقراطية التي تنتصب أمام شعبنا مع سائر قواه الوطنية الأخرى في عموم البلاد.

إنه قول مشروع عندما يقال للشيوعيين: وحدوا أنفسكم قبل دعوتكم لوحدة وطنية.

إن أبرز موانع وحدة الحزب الشيوعي السوري هي: الصراع على المناصب والمكاسب، والدور التخريبي لبعض المندسين والمتسللين إلى صفوف الشيوعيين، لذلك يجب معالجة هذه الأمراض المتجذرة وفي زمن قصير.

من هنا يحق لكل شيوعي حريص على مصالح الشعب الوطنية والطبقية والديمقراطية، وعلى إنقاذ الشيوعيين السوريين من وضعهم المأساوي، أن يأمل، بل وأن يدعو إلى أن تتوسع دائرة الاحتفال المشترك، آنف الذكر، وأن ينضم فصيل صوت الشعب أيضاً، ثم الانتقال إلى النشاط والنضال المشترك، في مختلف المجالات والميادين... بدءاً بالطلاب والنساء والعمال والفلاحين.. إلى النقابات والجمعيات والمنظمات الشعبية، وفي جميع القضايا المطلبية، إلى وفود تقابل المسؤولين، إلى الاعتصامات وحتى المظاهرات والإضرابات..

إن من شأن النضال المشترك بين القواعد أن:

- يصفي القلوب ويقوي العلاقات والمحبة بينهم إلى درجة اللحمة.
- يزيد من اندفاع الرفاق للقيام بمهامهم.
- يخلق كوادر عملية متمرسة في العمل النضالي.
- يجذب الشيوعيين التاركين مجدداً إلى أحضان حزبهم.
- يعيد ثقة الجماهير بالشيوعيين، ويعيد الشيوعيين إلى الشعب.
- يسترجع الشيوعيون تقاليدهم الثورية السابقة.

إن الشيوعيين يشتركون مع جميع القوى في نشاطاتها من أجل تحقيق شعارات وطنية.. فما بالهم لا يشتركون مع بعضهم، من أجل تحقيق شعارات وطنية وطبقية وديمقراطية؟

إن النضال المشترك بين القواعد وفي سائر المجالات والميادين يشكل أساساً متيناً لوحدة الشيوعيين السوريين في حزب واحد قوي، وإن خطوات عملية في هذا الاتجاه ينتظرها الشعب، ويصبو إليها الشيوعيون وأصدقاؤهم.

■ **عبدي يوسف عابد**

تعا... نحسبها...

+، -، x، ÷

مخبر للتحاليل الطبية في ريف دمشق يحتوي على أجهزة مختلفة للتحاليل قيمتها ١.٥ مليون ليرة سورية، شديدة الحساسية لتقلبات التيار الكهربائي وانقطاعه، وفي المنطقة نفسها حدث...

- انقطاع متكرر في التيار الكهربائي استمر لساعات بلغت أحياناً ١٢ ساعة متواصلة...
- تذبذب في التيار الكهربائي وتقلبات في مزاجه...

واقع تكرر مرات ومرات، أجبر القائمين على هذا المخبر لحل يوفر استمرار العمل ذي البعد الإنساني أولاً، وخطوة تحافظ على إنتاجية المخبر ومعداته ثانياً...

فكان شراء تجهيزات إضافية للحماية، تضبط تقلبات التيار الكهربائي وانقطاعه هي عبارة عن:

- منظمات كهربائية بقيمة ١٤٠٠٠ ل.س.
- دارات ادخار (ups) بقيمة ٥٠٠٠٠
- مولدة تعمل على البنزين بقيمة ٤٠٠٠٠ ل.س.

إجمالي المبلغ يكون ١٠٤٠٠٠ ل.س، يضاف لها تكاليف التشغيل والاهتلاك التي تقدر سنوياً بـ ١٠٪ أي ١٠٤٠٠ ل.س تضاف لسابقتها، ليصبح المجموع ١١٤.٤ ألف ل.س...

وإذا كان عدد المخابر في هذه المنطقة فقط هو ثلاثة، وسار أصحابها على الخطى السابقة نفسها للضرورات الملحة نفسها، فهذا يعني كلفة هي:

١١٤.٤ ألف ل.س × ٣ مخابر = ٣٤٢.٢ ألف ل.س

والأثر ذاته في كل منشأة أو منزل أو محل تجاري أو فعالية اقتصادية بكل تفرعاتها وتخصصاتها، وصولاً للفعاليات الأكثر أهمية لاعتبارات إنسانية واجتماعية، أي المخابر والعيادات والمشافي.

هذا الفعل المعاكس للتيار الكهربائي، الذي أربك ويربك هذه الفعاليات ويدفعها باتجاه حل ضروري لاستمرار نشاطها ذي الكلفة العالية جداً على المتسوى الكلي لاقتصاد البلد، لأن معظم هذه التجهيزات وقطع غيارها مستورد من الخارج...

هذا الاستهلاك المكلف وطنياً يمكن ضبطه والسيطرة عليه بدراسة متأنية لنمو معدلات الطلب السنوية والإستراتيجية على الكهرباء وفق ما هو مفترض، ليكون الحل الأقل كلفة، هو رفع إنتاجية محطات توليد الطاقة المتوفرة محلياً لتلبي مستوى الطلب الحقيقي، أو العمل على إنجاز محطات جديدة تلبي هذا التسارع في زيادة الطلب وبتكاليف هي بالنتيجة مدفوعة سلفاً، ولكن بطريقة مختلفة ومكاسبها غير الملموسة كبيرة...

وللغير...

taanhsubah@kassioun.org

كيف أصبحت شيوعياً

ضيفنا لهذا العدد هو الرفيق محمد بن قاسم الأحمد... الرفيق المحترم أبو عمار حدثنا كيف أصبحت شيوعيا؟.

- قبل أن أتحدث عن ذلك اسمحوا لي أن أقول: إن قيمة الإنسان هي أن يعيش إنسانيته عملاً وسلوكاً وهذا ما تعلمناه في مدرسة الحزب، أنا من مواليد دمشق- صالحية عام ١٩٤٢، أبي كان موظفا في وزارة المعارف. درست المرحلة الابتدائية بمدرسة الرشيد، ونلت السرتفيكا عام ١٩٥٦، وتابعت الدراسة في الثانوية الصناعية، وحصلت على الاعدادية عام ١٩٦٠ والثانوية عام ١٩٦٣، ثم عملت مدرسا للرياضة التي كانت هوايتي الأولى، ثم عملت في المكتب الفني بمعمل برادات بردى لمدة سنتين تقريبا، ثم سافرت للدراسة في موسكو.

سمعت كما أذكر عن الشيوعية أول مرة من المعلم الرفيق محمد سعيد ميرخان، الذي كان صديقا مقربا جدا لأبي وأهلي، فقد كان يتحدث عنها خلال زياراته المعتادة لأهلي، وكنت أصغي إليه باهتمام كبير وهو يتكلم عن العدالة الإنسانية وضرورة إنهاء الشرور والحروب والمظالم، وشيئا فشيئا بدأت أفهم عن الصراع الطبقي. وفي المرحلة الإعدادية توطدت صداقتي مع الرفيق محمد علي القابوني، وكان في الصف الحادي عشر، وهو هتّاف المظاهرات الطلابية الوطنية، وله دوره في رفع مستوى وعيي السياسي والطبقي، ومن خلال المظاهرات وجدت نفسي في مكاني النضالي الطبيعي، ثم انضممت إلى صفوف الحزب عام ١٩٥٧ في فرقة تضم الرفاق: حنين نصر الله ومحمد حنانا وآخرين، وقد كرست وقتاً كبيراً للعمل بين الشباب بفرق كشفية ورياضية وفنية (موسيقا ومسرح)، بالإضافة إلى المهمات والنشاطات والحزبية: (توزيع منشورات وكتابة على الجدران، ومشاركة في الاحتفالات الوطنية والطبقية التي يقيمها الحزب)، وكنت أداوم خلال جلسات البرلمان أمام مدخله مع الكثير من الشباب بانتظار دخول وخروج الرفيق خالد بكداش وسماع بعض خطبه من داخل قاعة البرلمان بصوته القوي ولغته المعبرة، وفي بداية عهد الوحدة شاركت مع الرفاق بتوزيع بيان الحزب الذي يحتوي البنود الثلاثة عشر بخصوص الوحدة، وذلك في أحياء دمشق كالميدان والشاغور، وقد تواريت عن الأنظار خلال فترة الاعتقالات التي استهدفت جميع الشيوعيين وأصدقائهم، وفي عهد الانفصال شاركت في المظاهرة التي عبرت الشوارع الرئيسية بدمشق منددة بالاضطهاد والتسلط، كما شاركت في الحشد الكبير الذي انتظم في مطار المزة لاستقبال الرفيق خالد بكداش العائد إلى الوطن، وقد منعته سلطات الانفصال من دخول البلاد منتهكة حق المواطن في أن يعود إلى وطنه، وفي نهاية الستينات من القرن الماضي، قمنا بتنشيط عمل اتحاد الشباب الديمقراطي في سورية، وإحياء هذا التنظيم الذي أعطيته جل وقتي واهتمامي، فأشرفت مع غيري من الرفاق على العديد العديد من نشاطاته المتنوعة (مخيمات، رحلات، مباريات رياضية، وحفلات فنية بالمناسبات الوطنية والأممية)، ومن الرفاق الذين عملت معهم، يعقوب كرو، نذير يزبك، يونس صالح، آكرم أنطاكي، والفنان محمد الرومي وغيرهم.

واليوم، وبقناعتي الكاملة، أرى أن من أهم أسباب ما طرأ على التنظيم الحزبي من تراجع وضعف وانقسامات، هو تفشي روح الاستئثار لدى بعض القياديين والتصاقهم بالمراكز، وكأنها ملك خاص لهم، وكذلك تضخم ذواتهم، وشخصنتهم للعمل السياسي والحزبي وربطه بأفراد، وعدم الاعتراف بالآراء الأخرى التي تبرز بشكل طبيعي خلال مراحل النضال، والحياة هي التي تحسمها وتؤكد الصحيح منها، وبالتالي يندثر ما هو غير طبيعي وملائم. ومن الآفات التي عانينا منها التسرع في إطلاق الاتهامات المسبقة الصنع بحق كل من لا يستزلم أو ينتقد أخطاء المسؤولين.

يسعدني في هذه المناسبة أن أعبر عن احترامي وتقديري الكبير لكل من ساهم في بناء لبنة بصرح هذا الحزب المجيد، وفي مقدمتهم أولئك الشهداء الأبرار أمثال طيب شربك وحسين عاقو وفرج الله الحلو والعشرات من البواسل الذي ضحوا في سبيل الوطن والشعب، وأتوجه إلى جميع الشيوعيين أن نؤنسن صراعنا الطبقي، ونجعل من نضالنا السبيل الصحيح لحرية وعزة وكرامة الإنسان وحقه بالتمتع بالديمقراطية باعتبارها الطريق الحقيقي لإنهاء كل صور القهر والتمييز، ومحاربة الفساد والفاسدين، وبهذا النضال نستطيع التصدي للمخطط الإمبريالي الأمريكي الصهيوني الساعي لاحتلال المنطقة وتفتيتها اثنياً مذهبياً وطائفياً لنهب خيراتها واستعباد شعوبها، وأدعو الرفاق جميعاً إلى توحيد الصف الشيوعي واليساري بالعمل المشترك على أرض الواقع وحشد كل القوى الوطنية في معركتها الحقيقية دفاعاً عن الوطن ولقمة العيش الحر الكريم.

■ **محمد علي طه**

التاريخ الأسود والاستغباء المتوحش للبسطاء

مؤسسة المأمون وجامعته نموذجاً

سلّطت صحيفة «قاسيون» في عدة تحقيقات سابقة، الأضواء على مجموعة كبيرة من الحقائق والتفاصيل الفاضحة للتجاوزات المرتكبة في جامعة المأمون مثبتة بالوثائق الدامغة، وكان آخرها التحقيق المنشور في العدد (٢٩٥) تاريخ ٢٠٠٧/٢/٢٨، بعنوان «مؤسسات علمية أم قطاعات للربح فقط؟ جامعة المأمون نموذجاً» والذي كان محاولة أولية مجتهدة للتنقيب في خفايا الأمور التي تخص ما تدعى «مؤسسات المأمون الدولية» و«جامعة المأمون» وتعود ملكيتها لشخص واحد هو (مأمون الحلاق)، ولكن المستغرب حينها أن الجهات المعنية في وزارة التعليم والجهات الأخرى ذات الصلة، تجاهلت الموضوع كلياً، ولم تقم بأية خطوة تثبت أنها اهتمت بما جرى كشفه وفضحه، وعليه لم تتخذ أي إجراء لمتابعة القضية، لذلك عدنا بمعونة الكثير من المخلصين، وتقصينا وجمعنا المزيد من الوثائق والمعلومات عن جامعة المأمون، ومالكها، وبعض (كادرها) التعليمي، وسوف نعكف عبر هذه المادة الموضوعية التي نقدمها لقرائنا، ونعرضها أمام من يفترض أن يهمهم الأمر من المسؤولين، على كشف المزيد من الحقائق واستعراض ملفات أخرى حول مؤسسات مأمون الحلاق الدولية وجامعته، وسوف تتبعها بلا شك، حلقات أخرى ومتتابعة، لأننا سوف نبقي الملف مفتوحاً إلى أن يتم وضع النقاط على الحروف بشكل نهائي..

التاريخ الأسود لجامعة المأمون في استغباء واستغلال البسطاء

في صيف عام ٢٠٠٤ استولت على العديد من صفحات جريدة الدليل الإعلانية (التي يملكها مأمون الحلاق أيضاً)، إعلانات عن جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا التي بزّت جميع الجامعات الخاصة في سورية لكونها الأكثر حظوة بتعاونها مع كبرى الجامعات العالمية ولا يشق لها غبار (صورة عن الإعلان -١).

هنا قمنا بالتحقيق في ذلك لكشف ملابسات حقيقة ذلك التعاون الدولي الذي كان من نتيجته أن سجل أكثر من ألفي طالب في جامعة المأمون للعام الدراسي ٢٠٠٤ ـ ٢٠٠٥، يدفع كل منهم ما يقارب السبعة آلاف دولار أمريكي سنوياً جراء ذلك التعاون التوأمي مع أهم الجامعات الدولية، وفق ما ذكر في إعلانات جامعة المأمون حرفياً:

١. (إصدار شهادة تخرج جامعية مشتركة لطلاب جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا يتم المصادقة عليها بين جامعة المأمون الخاصة وجامعة سندرلاند البريطانية، وسوف يكون هذا التعاون هو الثاني من نوعه بين جامعة المأمون الخاصة وجامعة سندرلاند تنفيذاً لاتفاقية التعاون الموقعة بينهما).

عنوان جامعة سندرلاند البريطانية على الانترنت هو:

www.sunderland.ac.uk

وقد تبين بالبحث والتدقيق والمتابعة عدم صحة ذلك، وعدم وجود اتفاق على إصدار شهادات تخرج باسم جامعة سندرلاند لخريجي جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، وأن ذلك لا يمكن أن يتم وفق القوانين التي تعمل بموجبها جامعة سندرلاند أصلاً!!.

٢. الإشارة عشرات المرات، وبتواتر مستمر عن تعاون الجامعة المفتوحة البريطانية مع جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، ولدى التواصل مع مدير قسم العلاقات الدولية في الجامعة المفتوحة البريطانية، تبين عدم وجود أي تنسيق أو تعاون من أي مستوى مع جامعة المأمون، وعدم وجود أية اتفاقية للتعاون موقعة مع جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا في سورية!

عنوان الجامعة البريطانية المفتوحة على الانترنت هو:

www.open.ac.uk

٣. تتم الإشارة في جميع إعلانات جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا عن تعاونها وتمثيلها لجامعة كامبردج العالمية في سورية، التي تحفل بها صفحات جريدة الدليل الإعلانية ويملكها مأمون الحلاق، ولدى التواصل مع القسم الدولي في الجامعة المذكورة، أنكرت إدارة الجامعة أية معرفة لها حتى باسم جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، بل وأبدت رغبتها في مقاضاة مأمون الحلاق وجريدته في حال توفرت الإمكانية للتنسيق مع الهيئات المختصة بذلك في سورية، مع العلم بأن إجراءات مقاضاة مأمون الحلاق جارية في بريطانيا من قبل جامعة كامبريدج.

عنوان جامعة كامبردج العالمية على الانترنت:

www.cam.ac.uk

يتم الحديث في جميع إعلانات جامعة المأمون عن تعاونها مع الجامعات الأمريكية وعن إمكانية حصول طلابها على مصادقة من الجامعات الأمريكية، وعلى منح دراسية لمتابعة الدراسة في أميركا من جامعة تشيلر الأمريكية الدولية، وقد تبين عبر متابعة المسألة، أنه لا توجد أية عقود في هذا الشأن، وأن ذلك هو محض أكاذيب من صنع القيمين على جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، وأن جامعة تشيلر الأمريكية الدولية لم تقم بالتوقيع على أي عقد تعاون مع جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا أبداً.

عنوان جامعة تشيلر الأمريكية الدولية على الانترنت:

www.schiller.edu

٤. أما عن الجامعة الأمريكية في القاهرة ومركز تعليم الكبار فيها، فقد تم التأكد من عدم وجود أي تعاون مع جامعة المأمون الخاصة للعلوم والتكنولوجيا، وأن التعاون كان سابقاً فقط مع معهد المأمون أو ما يحب أن يدعوه مأمون الحلاق مؤسسة المأمون الدولية، وأنه قد تم إيقافه بناءً على الممارسات غير الأخلاقية «للسيد» مأمون الحلاق، وأنه لم يعد هناك أي تعاون مشترك. فهل المقصود هو خلط الحابل بالنابل، وجعل الجامعة جزءاً من المؤسسة الدولية حيث أن الطالب فريسة سهلة الاصطياد، ولا يوجد هناك أي عقلاء يستطيعون كشف الحقيقة من الزيف والباطل؟؟

عنوان الجامعة الأمريكية في القاهرة – مركز تعليم الكبار:

cace-learning.aucegypt.edu

والتساؤل الذي يطرح نفسه ألا يوجد من كان يستطيع في وزارة التعليم العالي في سورية أن يدقق في صحة هذه الادعاءات قبل أو بعد نشرها لأجل ضمان عدم تضليل الطلاب الباحثين عن تعليم أفضل لهم؟ بالإضافة إلى فسح الفرصة للجامعات الأخرى الحديثة العهد في سورية التي لم تترك لها جامعة المأمون أية فرصة لتثبت ذاتها نظراً للزخم الإعلامي المهول الذي تبثه جريدة الدليل الإعلانية، والمملوكة لـ (مأمون الحلاق) نفسه؟؟!

ألقاب مجهولة المصدر

يطل علينا دائماً صاحب مؤسسة المأمون الدولية وجامعة المأمون بألقاب رنانة منها: على سبيل المثال: «الدكتور المهندس»، ويشير دائماً بأنه حاصل عليها من الجامعة الأمريكية في لندن، ولدى سؤالنا المباشر لإدارة هذه الجامعة وموقعها على الانترنت:

www.richmond.ac.uk

عن صحة ذلك، نفت نفياً قاطعاً بأن يكون لديها طالب حصل على الدكتوراه من أحد فروعها باسم مأمون الحلاق، وللاستيضاح هنا نضع بعض التساؤلات:

ـ هل هناك موافقة من نقابة مهندسي سورية لمأمون الحلاق باستخدام لقب (دكتور مهندس)؟

ـ لو افترضنا جدلاً حصوله على الدكتوراه، نسأل هل صادقت عليها وزارة التعليم العالي في سورية بالشكل القانوني ليحق له استخدامها على الملأ في التعريف عن ذاته بالدكتور المهندس؟

احتضان المزورين والأفاقين

لدى تنقيبنا عن بعض إعلانات مؤسسات المأمون الدولية وبالتحديد عن دورة (ضابط أمن وسلامة) التي استرعت انتباهنا للمسمى الغريب لها (يمكن الاطلاع على صورة منه مرفقة) أو مراجعة الرابط التالي:

www.abahe.co.uk/press

ويقدمها المهندس أحمد خير السعدي المدرب المعتمد والمتخصص من أكاديمية الأمن والسلامة في بريطانيا، ولدى تواصلنا مع أكاديمية الأمن والسلامة البريطانية، ومع نقابة المهندسين في سورية، تبين أن المذكور هو فني كهرباء لم يحصل على أي مؤهل سابقاً من أكاديمية الأمن والسلامة، وهو ملاحق دولياً بجرم التزوير والاحتيال بموجب قرار من أكاديمية الأمن والسلامة في بريطانيا بمصادقة المحامي العام في بريطانيا ووزارة الخارجية البريطانية والسفارة البريطانية في دمشق.

بالإضافة إلى ملاحقته من قبل نقابة مهندسي سورية بجرم انتحال لقب مهندس بشكل غير شرعي في سورية. والنتيجة من هذا كله هو بالتأكيد ضياع الـ ٢٥٠٠٠ ل س التي دفعها الطلاب البسطاء لأجل الدورة التي يدرب فيها المدرب المزعوم من بريطانيا، وذهابها لجيوب الأشخاص الذين لا يبصرون غيرها، ومهما كانت معاناة البسطاء في تأمينها الذين يحق لهم استجهالهم دائماً لأنهم الأضعف ولا نصير لهم.

حرب مافيوية على المنافسين

ولدى تواصلنا مع مدير المركز الاستشاري للعلوم والتكنولوجيا في ريف دمشق وهو في الوقت نفسه مدير مركز طبي اجتماعي يقدم خدمة التوعية والتوجيه للوقاية من سرطان الثدي وعنق الرحم مجاناً لجميع السيدات. وقد سألناه عن تجربته مع مؤسسات المأمون الدولية كونه الممثل المفوض لأكاديمية الأمن والسلامة التي انتحل منها المدعو أحمد السعدي لقب مهندس ومدرب معتمد، فأجابنا متألماً: بأنه تعرض إلى حملة منظمة من ما دعاه الفساد السرطاني العميق الذي يهدف إلى دفعه لعدم العودة إلى وطنه في سورية، ولا يبدله بكنوز الدنيا ـ كونه يعمل حالياً في أبحاث لقاح سرطان الرحم من جامعة شمال لندن في بريطانيا ـ لمنعه من كشف ملابسات ماذا جرى معه ومع كوادره البسطاء لمنعهم من المطالبة بأبسط حقوقهم القانونية بعد أن تعرضوا لسرقة سافرة من قبل المدعو أحمد خير السعدي، الذي كان يعمل في الإكساء كفني كهرباء، وتبين لاحقاً أنه جاسوس مزروع من قبل معهد مأمون الحلاق ضمن سلسلة من الأحداث التي لدى سماع ملابساتها الموثقة بشكل مذهل، بدت لنا كأنها مثل الذي نتخيل حدوثه في الأفلام، ولكن يبدو أنه قد حدث في سورية، وذلك سوف يكون موضوع الحلقة القادمة.

ودمتم ودام وطننا بألف خير.

■ **خاص قاسيون**

أسرة من هذا الـ...وطن..

هذه ليست قصة فيلم هندي، ولا حدوتة مصرية، هذه عين الحقيقة.. وهي حقيقة ستُ أسر مقعدة في بلدة واحدة، إنها بلدة شطحة الجميلة، التي رغم حريقها الهائل، ورغم مرور التوتر العالي فوق منازلها، إلا أنها وهي المتكئة على السفح الشرقي لجبال السلسلة الساحلية المطلة على سهل الغاب.. تبقى ساحرة.

فعندما تنظر إليها من أعلى هذه الجبال ترى السهل الممتد حقولاً خضراء, ماخلا الأراضي المتروكة لزراعة القطن التي لن تروى بقرار حكومي.. إنه منظر يسحرك عن بعد، غير أنك عندما تقترب أكثر فأكثر، سترى خمسة أشخاص مقعدين من أسرة واحدة يمثل وضعهم المأساوي، خرقا للدستور في المادة ٤٦ منه..

هذه لقطات كاميرا العين وبعض الألم، قصة فيلم حقيقية بالاشتراك مع وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل، إنه سيناريو لم يكتمل، ولاندري كيف ستكون نهايته؟..

المشهد الأول : خارجي نهاري – لقطة عامة – لهول ما تراه العين تتوسع الحدقة لتلتقط الصورة.. قبل أن تغرق بالدموع.

بيت قديم آيل للانهيار.. شجرة توت كبيرة وبعض أشجار متناثرة، خمسة أشخاص يفترشون العشب كل منهم أدار ظهره للآخر، يبدون متخاصمين، ربما أن السنين التي مرت جعلتهم هكذا لا يتكلمون، فلا جديد لديهم يتحدثون به.. إنهم بحالة توحد، فجديد الأول هو جديد الأخير الذي ليس جديداً، ينظرون إلى الشارع، ينتظرون زائراً، أو تحية.... أو بعضاً من عطايا المتصدقين.

المشهد الثاني: خارجي نهاري–لقطة تفصيلية–سترة جلد متقشرة ممزقة تظهر القميص البالي يرتديها أحمد.. أحمد الذي خدم الوطن قبل أن يقعده المرض الوراثي اللعين (التصلب اللويحي)، وهذا المرض يصيب الشخص المبتلي به بعد تجاوزه سن العشرين. يبدأ بالارتعاش واختلال التوازن والنطق، وينتهي به مقعدا، فسطيحا !!

أحمد من أسرة تضم ثلاثة عشر شخصاً، الأب متوفى منذ ما يقارب العشرين عاما، والأم تعمل ليل نهار وتصلي... تعمل على خدمة أبنائها الخمسة: وهم بنتان وثلاثة شباب مصابون بهذا المرض، أما الشخصان الآخران، فينتظرهما المجهول، وما تبقى من الأسرة من ذكور وإناث ساقتهم سنة الكون في مجراها.

رحلة الشقاء

بعض ما قاله المصابون: «المرض الذي ابتلينا به وراثي لا شفاء منه، وعلاجه الوحيد الأدوية المساعدة على الحركة..نحن لا نستطيع تأمين ثمن الأدوية، ومن أين لنا ذلك؟ فزيارة الطبيب كانت تكلف واحدنا من ٢٥٠٠–٢٧٠٠ ل.س.. الطعام لا نستطيع تأمينه، فكيف بالدواء؟ نتنقل زحفا أو بمساعدة الآخرين الذين ملوا منا وكرهونا وصاروا يتمنون لنا الخلاص، كما نتمناه لأنفسنا، وصادقاً أقول: أشكر كل من يتوجه بالدعاء لله أن يخلصنا من هذا القهر»!!

يذكر لي أحمد محاولة أحد رجال الخير وسعيه لاستقدام لجنة طبية مشتركة من دمشق وحماه في العام الفائت، حيث.. «قامت هذه اللجنة بتصوير الأسرة فوتوغرافيا، وتم الكشف الطبي السريري على أفرادها، إلا أنه وحتى الآن لم تصلنا مساعدات عينية ولا صحية، وبعد اللجنة الصحية بنحو أربعة أشهر، جاءت لجنة أخرى، وسجلت الأسماء لديها وعدد المصابين مع تفاصيل هوية كل مصاب.. حينها قلنا إن الدولة بدأت تلتفت إلينا، وستشرع برعايتنا، إلا أنه عند سؤالنا عن سبب مجيء هذه اللجنة، جاءت الإجابة إنه إجراء إحصائي للعاطلين عن العمل!! كيف ذلك لا أعلم؟

ومنذ نحو السنة ونصف السنة، وصلنا خبر قدوم السيدة الأولى بزيارة إلى ضريح الرئيس الراحل، وعلمنا أن الزيارة تستمر لأكثر من يوم، فاستأجرنا سرفيس، وذهبنا إلى هناك حيث أنها كانت توزع العطايا للمحتاجين، وكما قيل، وزعت أكثر من ٥٠ مليون ل.س، لم ننل منها أجرة سرفيس!! لأننا لم نستطع الوصول إلى المسؤول عن الضريح، وها نحن على هذه الحال: نأكل يوماً ونجوع آخر، نعيش على الصدقة.. كرهنا عيشتنا.. أحياناً أقول: ربي خلصنا، وأحياناً نعود ونتمسك بالأمل.. نحن متعلمون، ونستطيع القيام بأية وظيفة مناسبة، لو توفرت» .

المشهد الثالث: تكتبه وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل...

شكرا لكل من ساهم وسيساهم في إتمام هذا العمل .

■ **يامن طوبر**

معهد التخطيط

يواجه هيئة التخطيط بأسئلة محرجة!

بين عامي ١٩٦٦ و٢٠٠٧ لم تختلف صورة معهد التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية كثيرا، إلا اللهم بتغيير شكلي اقتصر على نقل البناء من المزة إلى التل خارج دمشق، إلى بناء يحتوي على مدرج وحيد، هو عبارة عن قبو..

خلال هذه السنوات بقي المعهد مجهولاً إلى ان سلط الأضواء عليه تصريح رئيس هيئة تخطيط الدولة الدكتور تيسير الرداوي في ٣\٥\٢٠٠٧ لجريدة تشرين فيما دعاه «بتحويله لمعهد للتفكير»!

التصريح الأخير تكفل بتفجير انتقادات وتساؤلات من كوادر المعهد عما ينتظرهم على مفترق طريق جذري تتولى الهيئة قيادته..

والأمر لا يقتصر على إغلاق المعهد أو تحويله لمركز تدريبي، نظراً لأهمية دوره كمركز وحيد للتخطيط والدراسات البحثية التطبيقية في سورية، في الوقت الذي تتكاثر فيه معاهد الإدارة العامة.

لذلك يعد تطوير المعهد قضية شائكة وعاجلة تحمل رؤيتين متناقضتين.

الأولى للهيئة التي تدعي تطوير المعهد، والثانية لأساتذته الذين وجدوا في رؤية الهيئة دعوة مبطنة لإلغاء المعهد والقضاء على أي شكل من أشكال التخطيط في سورية.

رغم كل تطمينات الهيئة بأن المعهد هو العقل المدبر لها، ما يفترض أن يكون وفق مرسوم إحداث المعهد في ١٩٦٦..

● أ. عبد الله الدردري ● د. تيسير الرداوي

شكراً للإهانة العلنية!

الرداوي تحدث عن «إعداد الهيئة لمرسوم لتبديل وظائف المعهد بشكل جذري لتعديل عمله جذرياً ليكون معهداً للتفكير».

طلاب المعهد استقبلوا التصريح بسؤال عن «سبب عدم تحديد ماهية هذا التفكير من الهيئة، فهل هو التفكير بالأكل والشرب فقط، إذا ما أخذنا بعين الاعتبار ان الطفل ابن الخمس سنوات يفكر»!

ونقطة الانطلاق في ذلك المرسوم الداعي لتبديل وظائف المعهد جذرياً، ومن ضمنها إلغاء شهادة الدبلوم بدل رفعها إلى شهادة ماجستير أو دكتوراة على اعتبار أن المعهد لا يقبل سوى خريجي الجامعات.

المفارقة تكمن في أن المعهد يطالب من عام ١٩٨٦ برفع درجة شهادته (الدبلوم) التي منحها قبل الجامعات السورية من عام ١٩٦٦، وتجاوزتها الجامعات بإلغاء شهادة الدبلوم وبقي المعهد يمنحها دون تعديل أو رفع للشهادة، والآن يجري العمل كما تؤكد العديد من المصادر على إلغائها.

يحصل ذلك برأي الأساتذة تحت لافتة خلابة للتغيير لكنها محملة بشتيمة تهدف بالنهاية لتحويل المعهد لمركز تدريبي بلا شهادة علمية أكاديمية، وبمعنى ما قتل المعهد بعد ٤١ عاماً من تخفيض دوره للحد الأدنى!

د. صموئيل عبود (تخطيط اقليمي) يرى في مقولة معهد للتفكير شتيمة وإهانة علنية يستبقها بالشكر للهيئة التي تريد جعل المعهد «يفكر»، مؤكداً على «ضرورة احترام ماتفكر فيه كوادر المعهد بداية كتنفيذ لأطروحات الهيئة والحكومة من التعددية والتشاركية».

كبسة على غفلة!

فالهيئة لم تزُر المعهد ولم تطلع على واقعه أو تكلف نفسها بزيارة أساتذته من ٦ أشهر،

بينما بينت بعض الجهات أن الرداوي «زار المعهد في يوم الانتخابات النيابية الساعة الواحدة والنصف ظهراً وبقي لخمس دقائق لم يلتق فيها أحد»، الأمر الذي يحدو المصادر إياها لتصحيح مصطلح «زيارة إلى كبسة»!.

وفي هذا يتركز سؤال المعهد للهيئة «هل تعلم الهيئة ماذا قدم المعهد خلال ٤١ عاماً من إنشائه»؟

و«لماذا إلغاء الآخر بعبارات لامعة تمرر تحت يافطة التطوير، وهل يتعارض رفع درجة الشهادة العلمية للمعهد مع التفكير»؟

معلومات برسم الهيئة!

بدورنا وجهنا السؤال للمعهد وأساتذته «هل يفتقد المعهد للتفكير»؟

بالعودة لتاريخ المعهد ومرسومه يعتبر المعهد الوحيد في سورية للتخطيط من أصل ٣ معاهد في الوطن العربي ككل، أحدها في مصر والآخر في الكويت.

والمعهد أكاديمي بحثي استشاري تدريسي وتدريبي، يستقبل خريجي الجامعات لمدة عام و٦ أشهر تتضمن ٢٧ مقرراً و٥ حلقات بحث ورسالة تخرج تتمحور حول حالات تطبيقية ميدانية بحثية ممنهجة للبحث العلمي في مجال التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وسوية المعهد العلمية عالية

مهند درزي (طالب) راسل معهداً في فرنسا للتخطيط لدى معرفته بمضمون مسودة تصريح الهيئة الأخير الذي سيحرم الطلبة شهادة الدبلوم، وقدم له معلومات عن مقررات المعهد وساعات التدريس وحلقات البحث والأهم درجة الشهادة التي يقدمها المعهد.

المفاجأة كانت مع رد رئيسة شؤون الطلبة في المعهد وتأكيدها لإمكانية انضمامه وتقديم مقرر أو مقررين إضافيين فقط وتعديل شهادته مباشرة إلى الماجستير وليس الدبلوم فقط!

باسم.... التطوير؟

درجة الشهادة تشكل نقطة خلاف رئيسة بين الهيئة التي لم توضح في تصريح تشرين عن كيفية «تعديل مهام المعهد جذرياً».

وبين المعهد الذي يتخوف من تقزيم دوره إلى مجرد مركز تدريبي.

هذه الخاتمة سبقها سعي حثيث من كوادر المعهد للقاء الرداوي بأربع كتب رسمية بقيت معلقة دون إجابة.

لتبرز تناقضاً صارخاً في آلية التواصل بين الهيئة والمعهد التابع لها وترأس مجلسه الاستشاري الذي أكد الرداوي تفعيله في جريدة تشرين.

في حين أكدت مصادر أن المجلس المذكور «لم يجتمع منذ عشرة أعوام».

لا حمداً ولا شكوراً!

رغم كل ماذكر تتفق كوادر المعهد على ضرورة تعديل مرسوم المعهد المتقادم، الذي لم يخصص للمعهد كوادر ونظماً مالية أو إدارية أو ملاكات كافية حتى للكادر التعليمي، ما خفض عمل المعهد للحد الأدنى.

نجم عن هذا الوضع وجود ٢٨ أستاذاً متطوعاً لقاء دخل لا يتجاوز ٤٨ ل. س للساعة التدريسية الواحدة!

منهم وزير التخطيط الأسبق الدكتور عصام الزعيم و الدكتور انترانيك توماس الذي جدول الاقتصاد الجزائري رقمياً وقدم طريقة لتقييم المشروعات من وجهة نظر قومية، والدكتور قدري جميل والدكتور صموئيل عبود..

خبير خطير!

تطوير المعهد ليس وليد اليوم فقد سبق لجنة الرداوي، لجنة شكلت من رئيس الهيئة الأسبق الدكتور الدردري لوضع مرسوم جديد استمر العمل عليه لعامين.

وتوقف العمل في المعهد إثر زيارة خبير ألماني موفد من الهيئة بمنحة من مؤسسة جي تي زد الألمانية.

الخبير في زيارته الاولى سأل الأساتذة: ما مشاكلكم؟

في الزيارة الثانية التي انتظروا فيها مقترحات لتطوير المعهد .... عاد لسؤالهم مجدداً:

ما مشاكلكم؟

من تحت الدلف!

لدى تعيين رئيس الهيئة الرداوي في منتصف الشهر الثالث من هذا العام، شكل لجنة ثانية في ٢٥\٤\٢٠٠٧ بالقرار ٣٨٤ لتطوير المعهد، قدمت المرسوم الذي أعلن عنه في تشرين في ٣\٥\٢٠٠٧ .

الرداوي يرى أن المرسوم هو «تغيير جذري لمهام المعهد».

بينما يؤكد الدكتورعبد الناصر ناصر أن المرسوم «الجديد أسوأ بالمقارنة بين مشروع المرسوم المقدم من اللجنة الأولى الذي توصل لوضع ٤ تصورات ومقترحات لتطوير المعهد».

مع ملاحظة أن «اللجنة الثانية حصلت على مشروع مرسوم اللجنة الأولى دون إعلام المعهد بأنها تعمل على وضع مرسوم جديد يخصه».

يرى الناصر في ذلك «مؤشراً لعقلية إلغاء ونسف الآخر دون وجود أي مؤشر لتطوير المعهد فعلياً».

فاللجنة الأولى ضمت ٢٠ شخصاً منهم أساتذة المعهد الذين عملوا بشكل تبرع،

بالإضافة لخبراء ومستشارين ماليين وقانونيين وإداريين من كل من وزارة التعليم العالي كالدكتور رياض العجلاني أمين سر مجلس التعليم العالي، و وزارة المالية ومعهد إدارة الكوادر العامة.

في الوقت الذي اقتصرت فيه اللجنة الثانية على ستة أشخاص جلهم من مدراء مراكز التدريب على اللغات بالإضافة لمدير موارد بشرية ومنهم من يحمل اختصاص قلبية.

ولم تستعن اللجنة الثانية بأي مدرس في المعهد رغم نص المادة ٣ منها أن تستعين بمن تراه مناسباً لإنجاز مهامها..

بالعربي!

هذا الفرق بين اللجنتين على مستوى الشكل، على مستوى المضمون يوضح د. الناصر كيفية تغييب أكاديمية المعهد.

يقول الناصر «تم تخفيض كل مايشير لأكاديمية المعهد وعلميته بدءاً من حذف طلب تحويله لهيئة علمية ذات طابع أكاديمي، وصولاً إلى تغيير مهام المعهد الأكاديمية من البحثية الاستشارية أولاً إلى التدريبية التدريسية وحتى حذف صفة عميد معهد وتحويلها إلى مدير»!.

والثغرة الأكبر التي ستواجهها الهيئة برأي المعهد في مرسومها هي «إلغاء الميزة الأكاديمية التعليمية لمعهد عمره ٤١ عاماً».

وذلك «بإسقاط الصفة التدريسية للخريج في المادة ٢ من مشروع مرسوم اللجنة الأولى، فلم تشر مسودة المرسوم الجديد الذي وضعته اللجنة الثانية أي ذكر أو توصيف لدرجة الشهادة العلمية التي يفترض أن يحصل الطلبة عليها في النهاية».

سقط سهواً!

لدى المقارنة بين المرسوم القديم ومسودة المرسوم الجديد المعلن من الهيئة تحت يافطة التفكير والمعنون في تشرين على أنه تغيير، يترحم أساتذة المعهد على المرسوم القديم.

بالنظر لما قدمه المشرع في عام ١٩٦٦ من حوافز وامتيازات للمعهد منها..

حوافز مالية ٥٪ جعلت من معهد التخطيط المعهد الوحيد المشمل بهذا الحافز في قانون العاملين الموحد.

وحوافز معنوية بدرجة ترفيع استثنائية تبلغ ٧٪ لخريجي المعهد، بالإضافة لشهادة الدبلوم آنذاك.

فماذا يقدم المرسوم الجديد؟

لا شيء برأي الدكتور قدري جميل الذي يسأل الهيئة «هل يتعارض التفكير مع رفع الدرجة العلمية لخريجيه؟ أم أن الهدف هو إلغاء المعهد بأية حجة كانت بما فيها التفكير»؟

يرد د. جميل ما حدث مؤخراً من تقزيم للمعهد وكوادره وتخفيض موازنته لعقود.

مؤكداً «أن الوضع اليوم أسوأ لوجود نوايا لدى الفريق الليبرالي في الدولة لوأد المعهد، لأن كلمة تخطيط تستفزهم وهذا دليل جهل، بالنظر لاحتواء دول اقتصاد سوق عريقة مثل فرنسا لمعهد تخطيط يلعب دوراً في الدراسات المستقبلية».

فهل منع المعهد من لعب هذا الدور؟

جمر تحت الرماد

الهيئة تؤكد على دور المعهد ومهامه المستقبلية في مساعدة الدولة لرسم السياسات الاقتصادية والتحول لاقتصاد السوق الاجتماعي..

أساتذة المعهد من جهتهم يعتبرون أنفسهم بحكم المغيبين، ويستندون لتجربة مريرة تبدأ من مراسلتهم في المعهد لرئاسة مجلس الوزراء لدراسة وتقييم المشاريع الاقتصادية، الأمر الذي استقبل بداية بشكل إيجابي وفي النهاية بالتجاهل.

وإلى تجربة أخرى لم يمض عليها زمن طويل لدى مشاورتهم أيضاً بداية في صياغة الخطة الخمسية العاشرة بشكل تطوعي ومن ثم إقصائهم عنها..

فالمعهد التابع لهيئة التخطيط والذي ساهم في خطتها لا تحتوي مكتبته نسخة من الخطة الخمسية العاشرة كمرجع له.

تعتيم إعلامي

مصطلح التفكير الشهير استنفر المعهد لتقديم رسائل بحثه البالغة ٣٠٠ دراسة خلال السنوات الخمس الماضية فقط.

وتتناول النمو، البطالة، هجرة العقول، الموازنة ودورها و الأجور والأسعار والكتلة النقدية وغيرها الكثير من الدراسات التي يؤكد كل من الأساتذة والخريجيين أنها منعت من التداول وتم التعتيم عليها.

بالإضافة للتعتيم على خريجي المعهد، ففي الوقت الذي يجري تخفيض دور المعهد، تستعين الجهات إياها بخبراتهم التي تشهد لها بالمستويات العالية دولياً.

إذ يشكل خريجو المعهد ٧ من أصل ١٤ شخصاً في لجنة دعم القرار الاقتصادي لنائب رئيس مجلس الوزراء الدكتور عبد الله الدردري.

الذين تم قبولهم بعد امتحانات دقيقة من خبراء برنامج الأمم المتحدة للتنمية!

في السياق ذاته تبرز مفارقة أخرى تستند إليها كوادر المعهد كمؤشر لحجم الإقبال على المعهد الذي لم يكن عدد خريجيه في التسعينات يتجاوز العشرين طالب، بينما تقدم هذا العام للالتحاق بالمعهد ٢٧٠ طالب قبل منهم ١٣٠ فقط..

وأكدت مصادر لنا «أن بعض الجهات التي تعمل على إغلاق المعهد اليوم حاولت التوسط لدى أساتذة المعهد لقبول بعض الطلبة».

تفريخ موظفين!

إذاً ما الهدف من هذا كله؟

د. قدري جميل يرى أن «الهدف من منع وجود مركز للبحث العلمي في مجال التخطيط كي لا يوجد من يكشف الألاعيب في الحياة الاقتصادية الاجتماعية، بتحويل المعهد من بحثي إلى مركز تدريبي لتفريخ موظفين لا يعرفون سوى كلمة نعم»!

في النهاية نضع مطالب الطلاب بين يدي الهيئة التي تتمحور بتشكيل لجنة ثلاثية تضم الهيئة والمعهد والجهات الاستشارية اللازمة.

وإعادة المعهد إلى دمشق وفق مرسومه الذي نص على ان يكون المعهد ضمن العاصمة ليكون قريباً من مراكز صنع القرار الاقتصادي والمؤسسات الاقتصادية الرسمية، ليعمل بشكل أفضل في مجاله البحثي..

فالنقلة الأخيرة التي تمت بقرار من رئاسة مجلس الوزراء لخارج دمشق في التل تدفع كوادره لتشبيه المعهد بواقعه الحالي «بالمنفى كاسم على مسمى»!

■ سها مصطفى

د. عصام الزعيم لـ «قاسيون»:

يجب تطوير معهد التخطيط، لا إلغاؤه!

أجرت قاسيون اتصالاً هاتفياً مع د. عصام الزعيم وطرحت عليه السؤال التالي:

-هناك نقاش حالياً حول الدور المطلوب من معهد التخطيط. البعض يريد رفع مستواه إلى مستوى المعاهد المماثلة عربياً (الكويت - القاهرة) والبعض يقترح تحويله إلى مجرد مركز تفكير تابع لهيئة التخطيط وإلغاء صفته التدريسية-الأكاديمية، والحفاظ على صفته التدريسية - التدريبية فقط، وتشهد بعض المواقع الالكترونية اليوم مثل (الجمل - سوريا الغد - سيريايور - قاسيون) نقاشاً حاداً حول الموضوع بين مؤيد ومعارض، ما رأيك بكل ذلك؟.

- **الدكتور عصام الزعيم**: إن معهد التخطيط يعتبر مؤسسة أنشئت من أجل أهداف لا تزال قائمة ومطلوب العمل لإنجازها، منها العمل على خلق كفاءات عالية في مجال التخطيط الاقتصادي والاجتماعي، بالإضافة إلى وجوب حسن التعامل مع الموضوع البيئي والاستراتيجي..

ما تغير هو أن قضية التخطيط تغيرت، ومحتوى النشاط الاقتصادي أيضاً تغير، وجرى تحول إلى نظام اقتصاد السوق، وأصبح التخطيط المركزي الذي يستهدف اقتصاداً مغلقاً، متقادماً، وبات المطلوب هو التخطيط لاقتصاد جديد في عالم مفتوح ومتقلب ومليء بالمنافسة.

ولكن، وفي الوقت ذاته هناك دائماً مجموعة من الأهداف الثابتة لأي تخطيط، وهي أهداف الإنماء، هناك حاجة لتحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية وبيئية، وكل هذه الأهداف تتطلب التخطيط، ولكن التخطيط الآن يجب أن يكون استراتيجياً ومتعدد المراحل، ويجب أن يكون مركزاً على القوى العاملة وعلاقاتها، أكثر مما يركز النقاط الجانبية والثانوية. أقول ولكل القوى الفاعلة المؤيدة للخطوة والمعارضة لها: إن هذا الموضوع، في هذا الوقت، مهم جداً، لأننا الآن في اقتصاد مفتوح. إن معهد التخطيط يحتاج إلى التطوير، لكي يتناول صيغ وقيم تخطيط أكثر انسجاماً واستجابة للواقع الجديد، ولكن هل يعني هذا أن المعهد يجب أن يلغى؟ قطعاً لا.

وهل يعني ذلك أن نستغني عن الكفاءات العاملة أو التي أنجبها المعهد؟ لا أعتقد ذلك.

إن الكفاءات العاملة في المعهد وقد تكونت لديها خبرة واسعة، وأشرفت على بحوث وألقت محاضرات، هي كفاءات وطنية يجب الحفاظ عليها والاستفادة منها وتطويرها. ولكن في الوقت نفسه هناك حاجة لتوسيع حيز الخبرة في المعهد ودوره ومساحته، وأعتقد أن أي تعطيل له سيضر بالمصلحة العامة. ■■

الفصل السابع

■ محمود عبد الكريم

❖.. طبول وزمور.. والهيصة تعلو منذ أكثر من سنتين.. وتهييج ينتقل من ذروة إلى ذروة.. «وقلب» من فوق الطاولة وتحت الطاولة ووقوف في الهواء على طريقة «البو رخيّص» هل تعرفون هذا الطائر المذهل؟

... تهجمات لا أخلاقية.. خطابات سياسية «من الزنار ونازل» حوّلت الخطاب السياسي إلى «مزبلة»... والمآل: التحقيق الدولي.. ثم المحكمة الدولية لمحاسبة قتلة «رفيق الحريري».. وأخيراً بق «السنيورة» البحصة وأرسل خطاباً إلى الأمين العام للأمم المتحدة المنشغل منذ يومه الأول بهذا الهدف... ناسياً الفقر والبطالة وحرارة الأرض وحقوق الإنسان والديمقراطية وفلسطين والعراق حتى صحّت تسمية أحدهم له: أمين عام المحكمة الدولية.

❖ ... إذن.. هجم الفصل السابع وكانت البداية اشتباك يدي سعد الحريري مع يدي ساركوزي الخلف وشيراك السلف.. مهدداً بالويل والتلف.. ومنذ البداية كنا نقول: لا يتوهمنّ أحد فالآتي أعظم.. ولهذا كنا نؤكد «وأعدوا لهم ما استطعتم».

❖... أحياناً يكون للخصوم أفضال لا تنسى... فهم لا يفتأون يذكرونك بغاياتهم وأهدافهم وبأكثر الأشكال فجاجة... «فالسنيورة» لم يخطر على باله للحظة.. هو وفريقه أن يرفعوا ولو إصبعاً صغيراً في وجه المذبحة الدموية في تموز ٢٠٠٦ بوجه التدمير الصهيوأمريكي للبنان من جنوبه إلى شماله... لا بل أكمل المهمة... ونهب أموال التبرعات للشهداء والجرحى والبيوت المهدّمة.. الفصل السابع قادم.. وعلى طريقة «غوار الطوشة» نقول: وشو يعني؟؟

... إذا أتى الفصل فهل نشمّر عن ركبنا «ويا فكيك» أم «نموت من الخوف والحزن والدموع».. أم تصطك الركب وتنهار العزائم... ونتعلم حكمة «الغزلان في الحرب»... لا ...!

❖ ... فالفصل السابع قائم ومعمول به وبدون توقف ـ منذ زمن طويل... وما تزال «نار» هذا الفصل مشتعلة... معلنة عن نفسها: بأفظع الجرائم والدمار والقتل والاغتيال والتهجير والاحتلالات التي كانت آخرها اغتصاب العراق.. كل ما في الأمر.. أنه تم تحوير بسيط في قواعد اللعبة.. وصار الوطن ذاته مطلوب للمقصلة الأمريكية الصهيونية «والعربان» الذين كانوا يلعبون «تحت الطاولة» صاروا يلعبون فوقها علناً.. وصار لهذا الفصل منظرون «ومناضلون» ومبررون.. فما هو الرد إذن.. على هذا الفصل «الناقص».

... إنه ـ حسب اعتقادي ـ كلمة واحدة:

المقاومة؟! .. قال: ثم ماذا.. قال: المقاومة.. والمقاومة أيضاً.

ولعل الخطاب الموارب في هذا الموضوع يساهم في زيادة مفعول هذا الفصل.. ولو كنت في موقع القرار لقلت وبدون مواربة: لا بأس بالفصل السابع شريطة أن يشمل كل الجرائم منذ عام ١٩٤٩ وإلى الآن.. وعلى الأخص.. فظائع عدوان تموز ٢٠٠٦... وبشكل لا يقبل أية مساومة: محاسبة المجرمين الذين قتلوا وحرضوا وتسببوا بمقتل وجرح مئات العمال السوريين.. وغير ذلك... عليكم وعلى هذا الفصل وافعلوا ما تشاؤون؟!.

في قلبي غصة

❖ على الشاب الشجاع المناضل.. الكاتب الساخر المليء بالوعود والحيوية والطاقة والروعة والحماس... على الجسد الممتلئ بالقوة الرجولة والتجربة الإنسانية الميدانية الحية.. وعلى العقل النير المنفتح... وعلى القلب النبيل.. الذي مرّ في حياتي كطيف ألم.. أو كضوء اخترق لحظة عتمة.. بل كأمل مورق.. انقصف هكذا بغتةً.. دون مقدمات... دون حتى أن أعرفه كما أرغب وأتمنى.. رغبة حميمة بمعرفة وصداقة قتلت فجأة على الطريق في حادث مفاجئ.. وجاءك الخبر الصاعق:

مات هشام باكير... فبكيته: ألا إن إخوان الصفاء أقارب.. هشام باكير.. بألم عميق.. وداعاً.. ولا حول ولا قوة إلاّ بالله.

■■

الهجوم على الأستاذ هيكل... لماذا ؟

رسالة القاهرة ..... ■ إبراهيم البدراوي

فجأة أشعل الحكوميون من أشباه الساسة والصحفيين والمثقفين، معركة حامية الوطيس ضد الأستاذ محمد حسنين هيكل. لا اكتب هذا المقال للدفاع عنه فهو قادر على الدفاع عن نفسه، وفي هذه المعركة بالذات هو ليس بحاجة إلى دفاع، وهو غالبا ما يترفع عن ذلك إزاء أمثال هؤلاء.

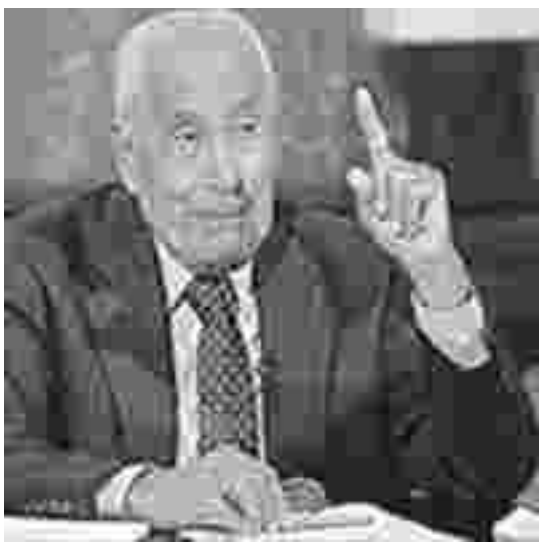

لكن الأهم هو التدقيق في أسباب هذا السعار بسبب ما قاله الأستاذ هيكل على قناة الجزيرة، وما يحمله من دلالات عميقة شديدة الأهمية، في المضمون والتوقيت على السواء.

الأستاذ هيكل في توقيت ما قال، لم يتحدث في إطار ظروف طبيعية تمر بنا، وإنما في ظروف أطبقت علينا فيها أزمة لا سابق لها، تدفع بنا عنوة وبقوة- إذا ما تركناها تستمر- إلى سحقنا وإنهاء وجودنا ذاته.

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا إذاً هذه الحملة الهائلة وكل هذا الضجيج والاسفاف الشديد ضد الأستاذ هيكل؟

أستطيع أن استخلص سببين رئيسيين وراء ذلك، أولهما خاص بالتجربة التاريخية لشعبنا ومنطقتنا العربية بأسرها في الصراع الطويل والممتد ضد الأطماع الاستعمارية، وثانيهما ما يخص رئيس الجمهورية بشكل شخصي، ونتناول الأمرين تباعاً باختصار.

أولاً: عن التجربة التاريخية

بقدر تعقيدات الصراع بين قوى الهيمنة الإمبريالية من ناحية والشعوب من ناحية أخرى، تعددت الوسائل والأدوات المستخدمة من أطراف الصراع.

في الظاهرة الاستعمارية المصاحبة للتوسع الرأسمالي، كان الاستعمار القديم المعتمد على القوة العسكرية والاحتلال العسكري المباشر هو الوسيلة الرئيسية وربما الوحيدة لفرض الهيمنة، ومع انتعاش حركات التحرر الوطني في أواسط القرن العشرين وقوة الدفع الهائلة التي اكتسبتها هذه الحركات، وفي ظل ميزان قوى دولي كان يميل حثيثاً لصالح الشعوب، انتهى عصر الاستعمار القديم، لكن الإمبريالية سرعان ما توسعت في أساليب الاستعمار الجديد القائمة أساسا على الهيمنة الاقتصادية.

لكن الإمبريالية تدرك أن تأبيد الهيمنة الإمبريالية يحول دونها نضال الشعوب التحرري وعدم استسلام الشعوب حتى في ظل تغير ميزان القوى لصالح الإمبريالية. إن دورة الصراع تتجدد، رغم أن العولمة الرأسمالية وهي المرحلة العليا الراهنة في تطور الإمبريالية تستخدم أساليب الاستعمار القديم والجديد على السواء.

لذلك فإن الإمبريالية التي لم تتخل أبداً عن أهدافها، لجأت إلى التوسع في استخدام وسيلة خطيرة هي «تدمير الذاكرة التاريخية للشعوب».

وهنا تكمن أهمية التناول التاريخي الذي يقوم به الأستاذ هيكل، وأعني به الحفاظ على الذاكرة الوطنية والقومية لشعوبنا، عبر ذلك الربط المحكم بين مراحل التاريخ الوطني والقومي في مواجهة الموجات الاستعمارية المتتالية، حيث يطرح بالوثائق تاريخ مرحلة حفلت بالمعارك والمقاومة والانتصارات، مرحلة العزة الوطنية والقومية، ويفصل بين هذه المرحلة وبين الحاضر الاستسلامي حالك السواد.

وفي مواجهة الغثاء الذي يطرحه أشباه السياسيين والمثقفين والصحفيين من خدام الإمبريالية والصهيونية والسلطة التابعة، الذين ينكرون المخاطر الاستعمارية، والإستراتيجية الإمبريالية الصهيونية لإخضاع المنطقة، والمشروع المعلن بوضوح متمثلاً في «الشرق الأوسط الجديد»، فإن الأستاذ هيكل يوضح بجلاء أن الاستراتيجية الاستعمارية الغربية قديمة وليست مستحدثة، وأن أهدافها واحدة لم تتغير وإن تغيرت الأدوات والوسائل.

ولذلك فهو يؤكد على فضح أولئك العملاء الذين يروجون لنظرية ساقطة تبرر المشروع الإمبريالي في منطقتنا بأنه لا مخاطر آتية لنا من الخارج تستهدف وجودنا، وان هذه مجرد أوهام نشيعها كأصحاب لنظرية المؤامرة، إذ يؤكد بالوثائق على عمليات التآمر الإمبريالي الصهيوني الواسعة، وإذ يؤكد في الوقت ذاته على إن التاريخ ليس مؤامرة فإنه يؤكد وبحق أن المؤامرة موجودة وعانينا وما زلنا منها.

وهو يعمل على تحذير الشعوب العربية وتحصينها من المخاطر الهائلة، التي يبرز في مقدمتها خطر عزل مصر عن أشقائها بهدف تحطيمها من الداخل، وإنهاء دورها، ومن ثم تحويل الكيان الصهيوني إلى القوة القائدة للمنطقة، ونهب ثروات بلداننا، وصولا إلى خروجنا من التاريخ ثم إلى مرحلة الفناء. وذلك هو الهدف الإمبريالي والصهيوني الذي نما وتعزز نتيجة لتراجع دور مصر بعد التخلي عن مشروع النهضة.

ولم يكن غريباً في هذا العهد حالك السواد، أن أحدا من الذين هاجموا الأستاذ هيكل قد لفتت نظره الحقائق الخطيرة التي أوردها.

لم يلفت نظرهم مثلا إن وزير الخارجية الأمريكي الأسبق روجرز قال له (حينما وجد تهافت السادات لإقحام كسينجر في التفاوض مع العدو الصهيوني)، إن ولاء كسينجر.. لشعبه، لأمته: اليهود.

ولم يلفت نظر هؤلاء الحقيقة التي عشناها جميعاً عن الوعود الأمريكية في كل منعطف جاد بإعطاء الفلسطينيين حقوقهم !! مثلما حدث مع السوفييت في أفغانستان، وفي حرب تحرير الكويت، وفي انجولا والقرن الأفريقي والبوسنة، وفي احتلال العراق , حيث يستجيب العرب للنداءات أو الأوامر الأمريكية: ساعدونا فنساعدكم، ثم لا نأخذ شيئا. وهو ما صاغه الأستاذ هيكل بدقة متناهية وبليغة في عبارة «لعبة النصابين مع المغفلين».

ولم يلفت نظر هؤلاء افتضاح أمر المبادرة السعودية التي تحولت إلى مبادرة عربية!! وهي صناعة يهودية، إذ صاغها الصحفي الأمريكي اليهودي توماس فريدمان!! والتي تم نفض التراب عنها بعد أن صرح عمرو موسى علناً بأن عملية السلام ماتت.

لم يسأل أحد من هؤلاء نفسه لماذا خرجت مؤخرا إلى النور؟... إلخ إلخ.

ثانياً: ما يخص الرئيس

لم يجاف الأستاذ هيكل الحقيقة في أي حرف نطق به، لم يضف شيئا للواقع المعاش الذي يشهده ويحس به القاصي والداني، ولذلك جاءت ردود فعل أشباه الساسة وأشباه المثقفين والصحفيين حادة وثأرية، لأن لا أحد منهم يمثل في مجتمعنا قيمة سياسية أو فكرية أو علمية أو إعلامية.

هل جاوز الأستاذ هيكل الحقيقة حينما قال أن المكان الطبيعي لوجود الرئيس يجب أن يكون في عاصمة البلاد مثلما هو متبع في كل بلدان العالم؟

وهل جاوز الحقيقة حينما قال إن الرئيس دخل معترك السياسة بعد سن الخمسين، ألم يقل الرئيس ذلك بنفسه على شاشات التلفزيون المصري؟

وهل جاوز الحقيقة حينما قال أن الرئيس يملك سلطات واسعة حسب الدستور وحسب طبيعة النظام السياسي، وهي سلطات لم يتم تقليصها بشكل ملموس في التعديلات الدستورية الأخيرة، بل تكرست في بعض الجوانب مثل حقه في حل مجلس الشعب بقرار منفرد ودون استفتاء شعبي؟ ألا تقترب هذه السلطات من جوهر الحكم المطلق، إن لم تكن بالفعل حكما مطلقا وفرديا؟

هكذا حملت الهجمة الطائشة على الأستاذ هيكل عنصري التضليل والزيف من ناحية، والثأر الشخصي من ناحية أخرى، وهو ما يؤكد طبيعة هذا العهد حالك السواد.

في النهاية كلمات قليلة عن واحد ممن تصدوا للأستاذ هيكل في ثنايا مسلسل هابط وساقط نشر على صفحات أخبار اليوم، ألا وهو رئيس الوزراء السابق عاطف عبيد الذي يقدم شهادته للتاريخ!!

إنها مهزلة حقيقية أن يقدم عاطف الموظف بدرجة رئيس وزراء شهادته لتزييف التاريخ، في حين أنه قد نفذ تدميرا إبداعيا لاقتصاد الوطن، وللثقافة والتعليم والبحث العلمي، وكنس بدون أي وازع من ضمير وطني كل الحقوق الاجتماعية للفقراء، فازداد التفاوت الطبقي بدرجة مخيفة، وشاع في عهده الفساد والنهب والسرقة والانحطاط كما لم يحدث في كل تاريخ مصر الطويل، كما فقدت مصر في هذا العهد دورها العربي والدولي، واهتز أمنها القومي بسبب السياسات التي روج لها ونفذها عاطف بتفان شديد.

كان الأولى به أن يصمت لأن أحدا في مصر لن يصدقه، لكن يبدو أن «اللي اختشوا ماتوا»!

■■

تدمير العراق

١ مليون قتيل، ٢ مليون جريح، ٣ مليون مُشرّد- إبادة جماعية عرضية!!

يتطلب ارتكاب إبادة جماعية توفر ركنين ضروريين:

الأول- الركن العقلي، ويعني توفر القصد، كلياً أو جزئياً، لتدمير شعب، جماعة عرقية أو مجموعة دينية.

الثاني- الركن المادي، ويتضمن أي من العناصر التالية: القتل أو التسبب بالإيذاء الخطير، عقلياً أو جسدياً، لمجموعة من الناس، إفساد مقصود لظروف الحياة باتجاه تدمير شروط الحياة المادية لجماعة، كلياً أو جزئياً، فَرضْ معايير موجهة لمنع الولادات أو النقل الإجباري للأطفال من جماعة إلى أخرى.

مع الأخذ في الاعتبار هذه اللهجة الواضحة المقتبسة من معاهدة الأمم المتحدة التي تُلزم بشكل طبيعي بلدنا (الولايات المتحدة الأمريكية)، عندئذ فالأمور الحاصلة تُثير القلق والإزعاج- بخاصة، عند إدراك أن حكومتنا، منذ إعلانها الحرب الاقتصادية والعسكرية على العراق، قتلت أكثر من مليون عراقي، والرقم يتجه سريعاً إلى المليونين.

في هذا الصيف يكون قد مضى عام واحد على نشر الباحثين في جامعة جونز هوبكنز نتائج دراستهم الميدانية التي تضمنت موتاً إضافياً لـ٦٥٥ ألف عراقي بسبب الحرب. وبعد ذلك سارت الأمور فقط من سيء إلى أسوأ، مع ملاحظة أن الحرب الاقتصادية سبق وأن قتلت نصف مليون طفل عراقي دون الخامسة خلال سبع سنوات فقط من فترة المقاطعة التي فُرضَتْ على امتداد تجاوز اثني عشر عاماً، حسبَ تقرير الأمم المتحدة.

استناداً إلى دراسة جونز هوبكنز للقتلى العراقيين أثناء الحرب/ الاحتلال، يمكن للمرء أن يُقدّر وبشكل متحفظ عدد الجرحى بحدود ٢.٦ مليون. من جهة أخرى، تُقدّر الأمم المتحدة بين ١.٥ - ٢.٦ مليون عراقي من «المشردين دولياً» نتيجة الحرب. كما أن آلافاً من الأطباء والجامعيين وأهل الفكر والخبرة هربوا من وطنهم.

إذا كنت جالساً وفي حالة صحية ملائمة، حاول استحضار الظروف العراقية نفسها هنا في بلدنا (أمريكا). أبدأ مع حقيقة أن قلّة قليلة من الناس قادرون على شراء زجاجات المياه الصحية، بينما أغلب الناس يواجهون خيار استخدام المياه غير الصحية في طعامهم وشرابهم.. يصلنا التيار الكهربائي فقط على ٣-٤ ساعات يومياً لتدبير أمور الطبخ واتقاء حرارة الصيف التي تصل إلى حدود ٤٠ درجة مئوية.. غياب المستشفيات الملائمة والمؤسسات الصحية لمعالجة مصابينا.. ولادات ناقصة- مشوهة بسبب استخدام أسلحة اليورانيوم المنضب على مستوى بلادنا.. معاناة الناس من فقد أحبائهم في ظروف العنف والرعب وفرق الموت.. ثم أفتح قلبك ومشاعرك لمعاناة هؤلاء الناس في العراق!!

وتخيل أن ملايين الناس في العديد من مدننا الأمريكية أصبحوا مشردين من ديارهم، يعيشون مع أصدقاء أو أقرباء أو في معسكرات أو تحت الجسور.. واحد من كل أربعة أطباء، على الأقل، تركوا البلاد.. العام السابق فقط تم خطف ٣٠٠٠ وقتل ٨٠٠ طبيب.. باختصار، لا أحد «في الخارج» يأتي لإنقاذنا.. كيف سنعيش؟!.. في جحيم!؟

بطبيعة الحال لم تكن في نيّة حكومتنا ارتكاب مجازر جماعية.. إنها وقعت كحادثة فقط ضمن الحوادث الجارية (تحصيل حاصل!). العراقيون يستمرون في العيش في جحيمهم، ونحن مستمرون في محاولتنا «إنجاز المهمة!». حدثت أخطاء ونحن نُقيم ديمقراطيتهم، ولكن لم تكن هناك نيّة مقصودة لتنفيذ مجازر جماعية.. وبعد كل هذا نحن مَن يُقرر دولياً إذا كان ما حدث هو مجازر جماعية أم لا، ونحن نعلم جيداً فيما إذا توفرت النيّة لهذه الإبادة الجماعية أم لا.. إنها فقط «مجازر جماعية عرضية!!»

■ **مايك فيرنر/ شبكة أوروك**

ترجمة:

د. عبد الوهاب حميد رشيد

الرفيق د. سمير دياب عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي اللبناني لـ «قاسيون»:

لا شيء يثنينا عن مواجهة المشروع الأمريكي - الصهيوني

أجرت «قاسيون» اتصالاً هاتفياً مع الرفيق د. سمير دياب عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني، مسؤول قطاع الشباب الطلاب، وأجرت معه حواراً سريعاً حول ما يسمى «حركة الإنقاذ» التي أعلنت انشقاقها عن الحزب مؤخراً، وكان الحديث التالي..

تحدثت الصحافة اللبنانية يوم الإثنين ٢٠٠٧/٥/١٤ عن «حركة إنقاذ» انشقت عن الحزب الشيوعي اللبناني وعن قيادته. ما دوافع هذه الحركة، وما هي منطلقاتها وأهدافها؟ وما علاقتها بما يجري اليوم من أحداث وتطورات لبنانياً وإقليمياً ودولياً؟؟

حدد الحزب الشيوعي اللبناني في مؤتمره التاسع مجموعة من النقاط والأهداف الأساسية التالية:

أولاً: موقفه من مفهوم الدولة الوطنية الديمقراطية، بما في ذلك الموقف من موضوع المقاومة الوطنية اللبنانية في مواجهة المشروع الأمريكي–الصهيوني.

ثانياً: الإصلاحات السياسية، الاقتصادية، والاجتماعية..

ثالثاً: وهو الموضوع الأساسي، ويتعلق بتجميع اليسار اللبناني والعربي في مواجهة الهجمة التي تشنها الإمبريالية الأمريكية على المنطقة.

في هذا السياق، ومنذ المؤتمر التاسع وحتى يومنا هذا، حزبنا الشيوعي اللبناني، يعمل ويناضل في مناخ من التوترات السياسية والأمنية التي تعيشها المنطقة بشكل عام، وانعكست بشكل أو بآخر في لبنان منذ عام ٢٠٠٥، بما في ذلك العدوان الإسرائيلي الأخير في ١٢ تموز ٢٠٠٦ وتداعياته. هذا الحزب يملك موقفاً سياسياً ووطنياً مستقلاً، وبالتالي هو خارج كتلتين سياسيتين طائفيتين كبيرتين، وعلى ضوء ذلك، هناك محاولات لإضعاف هذا الحزب من داخله، وبالتالي تجري في هذا السياق محاولات ما تسمى بالانشقاقات، وهي مجموعات وأفراد خارج الحزب أصلاً، ولا تمت له بصلة لا سياسياً ولا تنظيمياً، وآخر تجلياتها كانت مؤخراً محاولة ما سمي بـ «حركة الإنقاذ»، أو «انشقاق من أجل التوحيد».. لا أحد ينشق من أجل لم شمل الشيوعيين عملياً، لذلك نحن نؤكد أن سياستنا ومواقفنا المبدئية مازالت قائمة على الأسس التي أقرها المؤتمر التاسع، ونحن نعتبر أن الحزب الشيوعي اللبناني بتاريخه النضالي الطويل الذي يعود إلى أكثر من ٨٣ سنة مرت، هو المستهدف بتاريخه ونضاله ومواقفه الوطنية، بصفته حزباً وطنياً ديمقراطياً مستقلاً.

ما وزن هذه الحركة تنظيمياً وسياسياً؟

أود توضيح مسألة، إن المجموعات التي تظهر على الساحة اليوم، هي أصلاً المجموعة نفسها التي اجتمعت قبلاً في مطعم الدلب وهي ما تسمى بالـ«٩٩»، وقد اختلفت بعد ذلك فيما بينها حول القيادة وحول قضايا أخرى، وبدأت تتفسخ من داخلها فخرج عليها أولاً إلياس عطا الله، وفيما بعد منير بركات، وأخيراً مجموعة ما سميت بحركة الإنقاذ..

. نتمنى أن يكون انقساماً أخيراً.

تأكد أننا بدأنا ننتهي من هذه المسائل، وهذا الحزب عصي عن التطويع والإركاع. وهذه المجموعات بدأت تأكل نفسها سريعاً، وتتقاتل على المناصب..

مسيرة هذا الحزب مستقلة ومستمرة، وورشة العمل للتحضير للمؤتمر الوطني العاشر جارية على قدم وساق وفقاً لأهداف المؤتمر الوطني التاسع، وبالتالي هذا يعني المزيد من اللحمة التنظيمية، ومزيداً من العمل على المستويات كافة من أجل مواجهة المشروع الإمبريالي الإسرائيلي في المنطقة.

سؤال أخير، هل لقوى ١٤ شباط دور فيما يجري؟

بالتأكيد، حين نقول أن هذا الحزب مستهدف، فإننا نعني أن هناك محاولات دائمة من قبل هذه السلطة الطائفية لتفتيت القوى الوطنية العلمانية، وسعي مستمر لتهميش دور من يملك مشروعاً تغييرياً داخل البلد، والحزب الشيوعي اللبناني أكاد أقول إنه الحزب الوحيد في ظل هذا الصراع المحتدم الذي يطرح مشروعاً للتغيير الديمقراطي في لبنان، ربطاً بعملية صمود وانتصارات شعبنا ومقاومتنا الوطنية في الانتصارين الكبيرين في الـ٢٠٠٠ والـ٢٠٠٦.

خلاصة القول: إن حزبنا هو الوحيد في ظل الصراع الطائفي والسياسي القائم عملياً الذي يملك مشروعاً حقيقياً من أجل بناء دولة ديمقراطية عربية مستقلة، ومن هنا تأتي جميع المحاولات اليائسة لاستهدافه..

■■

فوضى غزة... فلتان أمني أم تدمير قضية ومجتمع؟

● محمد العبد الله

انقضت ثلاثة أشهر على توقيع «اتفاق مكة» العتيد بين حركتي فتح وحماس، وقاربت حكومة «الائتلاف» الفلسطينية، على إنهاء شهرها الثاني، ومازال الحصار الظالم واللاإنساني مفروضاً على الشعب الفلسطيني، على الرغم من بعض «الثغرات» الطفيفة في جدار الممانعة الدولية التي أحدثها تحرك بعض وزراء الحكومة الوليدة. وإذا كانت الدعوات والتحركات التي انطلقت عبر أكثر من جهة إقليمية ودولية لتسويق «المبادرة العربية»– التي يعمل النظام العربي الرسمي على تقديمها وكأنها «الضربة القاضية» في تعامله مع الكيان الصهيوني! فقد اصطدمت منذ اللحظة الأولى بالرفض الأمريكي المتطابق مع شروط حكومة العدو الصهيونية، الهادفة لتحقيق الاعتراف والتطبيع قبل كل شيء، فإن جهد الدبلوماسية التطبيعية الذي تقوده عواصم «الهرولة»، مستمر على أكثر من صعيد، من أجل تليين مواقف قوى الرفض والممانعة، عبر طرح الخطط والمشاريع السياسية– الأمنية– الاقتصادية تحت عناوين تتراوح مابين «تحسين أداء السلطة عبر تقوية أجهزتها الأمنية» و«تجهيز الأطر السياسية– الحقوقية– الإدارية لترتيب وضع الأراضي الفلسطينية المحتلة فيما لو انهارت السلطة». في ظل هذه الأوضاع، تتصاعد جرائم الاحتلال من اغتيالات واعتقالات، وانتشار الحواجز، وتوسيع المستعمرات، وزيادة عدد الوحدات السكنية في محيط مدينة القدس، وقضم الأراضي ومصادرة الثروات المائية بفعل الجدار العنصري– الاحتلالي، التي يقابلها في الجانب السياسي– المجتمعي الفلسطيني، اضطراب حاد، تكشفه حرب التصريحات الإعلامية بين طرفي الائتلاف، وتُعريه «أخلاقياً» عذابات وآلام الآلاف من أبناء الشعب، ضحايا الصراعات الدموية «الفصائلية–الجهوية–العشائرية»، التي لاتخرج عن كونها، الشكل الأكثر قبحاً في إدارة التعارضات– حتى لانقول التناقضات– السياسية بين الفريقين المتخاصمين.

على مدى الأسبوعين الأخيرين، شهدت أجهزة الإعلام صراعاً متجدداً بين قطبي الأزمة، عكس حدته، ارتفاع منسوب الاحتقان لدى الحركتين، ووصوله لحافة الانفجار الكارثي. فالتصريحات التي تناوب عليها كل من جمال نزال أحد الناطقين باسم فتح وأيمن طه ممثل حركة حماس في مكتب التنسيق المشترك بين الحركتين، أشارت إلى تأزم جديد في العلاقة بين الطرفين، التي حاول محمود عباس في زيارته لمدينة غزة واجتماعه مع اسماعيل هنية العمل على معالجتها، خاصة مع تقديم وزير الداخلية هاني القواسمي استقالته، التي كشفت عن حالة التهميش التي يعيشها الوزير، نتيجة تحكم كبار ضباط الوزارة بحركتها وولاء الأجهزة الأمنية، نتيجة عقلية التفرد والإقصاء الانقلابية المهيمنة عليها. وهو ماعكسته رسالة مدير عام جهاز الأمن الوقائي العميد يوسف عيسى الموجهة لرئيس الوزراء، التي تضمنت اتهامات خطيرة لحركة حماس في سياق الرد على ما اتهمت به عدة قيادات حمساوية «الجهاز» بوقوفه خلف ظاهرة الفلتان الأمني (لقد قامت عناصر حماس بسرقة سلاح ومركبات السلطة بعد مداهمة مقارها وخطف المواطنين وزرع العبوات على أبواب البيوت وتفجيرها ليلاً). لقد أدت الاشتباكات المتكررة في الأيام الأخيرة، لسقوط العشرات بين قتيل وجريح، مما يشير إلى فشل جهود «الرئاستين» والقوى الفلسطينية، والوفد الأمني المصري ،في تبريد رؤوس المتقاتلين، التي لم تؤثر عليها أيضاً، حركة وزير الداخلية الاحتجاجية (الاستقالة)، رغم ماشهدته من «أحجيات» التأكيد والنفي لعدة أيام. وهو الذي شارك باجتماعات عباس وهنية، التي أسفرت عن الاتفاق على تنفيذ «الخطة الأمنية» ذات المراحل المتعددة، التي حملت للبعض– المتوهم بأن جذر الأزمة أمني فقط– الأحلام بالطمأنينة، خاصة مع نزول مئات العناصر الرسمية للشوارع في مدينة غزة، ظناً منهم بأن مايحصل ماهو إلاّ المراحل الأولى لتنفيذ الخطة. لكن تصريحات وزير الداخلية، أكدت على أن مايجري (ليس تنفيذاً للخطة، بقدر ماهو مبادرة من ضباط كبار. إنه اجتهاد منهم، ولم يكن بموافقتي!). وهذا ماأكده القيادي أيمن طه (لا اتفاق على البدء بالتطبيق، ولكن تهيئة الأجواء لتطبيقها قريباً). أما وزير الإعلام مصطفى البرغوثي فقد أعطى تقييماً آخر للوضع (فعلياً بدأ تنفيذ الخطة الأمنية، إلاّ أن هناك بعض الجهات التي لايروق لها نجاح الخطة). التصريحات الملتبسة، المتناقضة أحياناً، كانت تنقل للمواطن الفلسطيني، وللمراقب الإعلامي، صورة الاضطراب الذي يحكم العلاقة بين الأجهزة والقوة التنفيذية، الذي هو انعكاس موضوعي للعلاقة المتوترة بين الحركتين. التي تسعى العديد من القوى السياسية والمجتمعية عبر النقاشات الدائرة مع قيادتيهما، لتنفيس الاحتقان، ولإعادتهما إلى طاولة الحوار، وللوقوف على أسباب الأزمة الجديدة، من أجل معالجتها. وهو ماوفر الأجواء لتوقيع الاتفاق الجديد بين الحركتين، المتضمن (سحب جميع القوات المنتشرة ومسلحي الطرفين من شوارع مدن وبلدات قطاع غزة).

لم يصمد الاتفاق سوى بضع ساعات، لتنفجر واحدة من أبشع وأقسى المواجهات بين الحركتين، منذ التوصل في «مكة» لوقف نزيف الدم. عمليات إطلاق الرصاص والقذائف الصاروخية، واختطاف العشرات، ترافقت مع تصفيات إجرامية وحشية (اغتيال القيادي في كتائب شهداء الأقصى بهاء أبو جراد، وإعدام الصحافي في جريدة فلسطين سليمان عشي بأسلوب فرق المستعربين الصهيونية)، أعاد وضع غزة على فوهة البركان، مما استدعى تحركاً من قيادة الحركتين، والوفد الأمني المصري، لإلزام المتقاتلين بوقف العبث بأمن المواطنين، الذين يعيشون حالة الترقب من عدوان عسكري صهيوني يستهدف القطاع. وهو ما أثمر عن توقيع اتفاق جديد، يتوقع المراقبون أن لايصمد كثيراً، يوقف الاشتباكات، وينهي كل أشكال التوتر الإعلامي، ويطالب الجميع بسحب العناصر المسلحة من الشوارع، وتحويل كل من تثبت إدانته للقضاء.

إن التعبيرات العنيفة– الدموية التي عصفت بالنسيج المجتمعي الفلسطيني على مدى عدة أشهر، دقت جرس الخطر في وجه الجميع. فالصراعات الدموية بين العناصر المسلحة– تنخفض أحياناً خلف الاشتباكات التي تدور مع العائلات، وكمثال على ذلك، ماحصل في محافظة خان يونس مع عائلة (كوارع) التي سقط فيها على مدى عام ١٢ قتيلاً و٧٠ جريحاً– بدأت تحرق بنيرانها السلم الأهلي– المجتمعي، الذي سيتطاير شراره المدمر، ليجلب الخراب، ويهيل التراب على المشروع الوطني، الذي قدَّم مئات الآلاف من الشهداء والجرحى والأسرى، أعز مايملكون لتحقيق أهدافه التحررية.

إن ظاهرة الفلتان الأمني لم تكن بأي وقت «نبتاً شيطانياً»، بمقدار ماكانت التعبير الأكثر عنفاً وبؤساً، لمحاولة البعض مصادرة التاريخ، وإقصاء الآخر، والتفرد بالراهن والمستقبل، الذي يتكيف مع المشروع– البرنامج الذاتي، الذي يعتقد أصحابه بأنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، والحلول الكاملة والناجزة. إن إشاعة ثقافة وطنية، ديمقراطية، تتقبل الآخر– الوطني–، تحاوره على قاعدة المشروع الكفاحي التحرري، وتطور معه، برنامج العمل المشترك الجماعي، من أجل تصليب بنية المجتمع وصموده، كفيلة بسحب فتيل الأزمة، وبناء– إذا توفر الالتزام الوطني والأخلاقي– الرافعة الحقيقية لانتشال الوضع الفلسطيني كله من المأزق.

■■

سيف ديموقليس

ديك تشيني كان في المنطقة في جولة تم رفع مستواها بعدما كانت مخصصة لوزيرة الخارجية كوندوليزا رايس لتشمل إلى جانب العراق «الرباعية العربية» أو ما يسمى بدول الاعتدال العربي وهي جولة رد عليها الرئيس محمود أحمدي نجاد بزيارة شملت الإمارات وعمان ليدخل الصراع المفتوح بين واشنطن وطهران طوراً جديداً ومتقدماً ودائماً على خلفية تفخيخ ألغام أخرى باتت جديدة قديمة من بغداد إلى رام الله وغزة والقدس مروراً ببيروت ودمشق.

تشيني الذي أطلق تهديدات عسكرية مباشرة باتجاه طهران على متن حاملة طائرات على مقربة من مياهها الإقليمية رفع في كل المحطات التي قادتها إليه جولته يافطة معلنة تتحدث عما يسميه «تطويق النفوذ الإيراني في العراق وتعزيز المصالحة الوطنية فيه» ولكن مع إضافة تبدو غير منسجمة أشار إليها صراحة المتحدث الرئاسي المصري تربط كل ذلك بـ«البرنامج النووي الإيراني» دون أن ننسى تأكيد تشيني مجدداً أن ضرب إيران أسهل من تركها تمتلك السلاح النووي، ولن يمنع واشنطن عن ذلك أي ملامح ضعف لقواتها العسكرية في العراق.

وفيما لم يعد جديداً حديث غالبية المراقبين الذين يرون المأزق الأمريكي الاقتصادي والسياسي والعسكري على حقيقته– بمن فيهم خبراء أمريكيون– عن قرب العدوان العسكري الأمريكي على طهران فإن اللافت هو وصول التحضيرات السياسية لهذا العدوان مرحلة جديدة بعد استكمال تحضيراته العسكرية بدليل رفع مستوى التمثيل في الزيارة/ الجولة بهدف رفع وتيرة الضغوط على الدول العربية المعنية من أجل دعم العدوان المرتقب، وتطمينها في الوقت ذاته من انعكاساته عليها.

ومن هنا جاء حديث تشيني الصريح خلال زيارته للإمارات مثلاً حول قلقه بخصوص الاستثمارات الإيرانية الضخمة على أراضيها والتي تقارب الـ٢٧ مليار دولار حسب بعض الإحصائيات. وهي زيارة أعقبها اجتماع وصف بالتشاوري لدول مجلس التعاون الخليجي في السعودية، ليكون ربما أحد اجتماعات «اللحظات» الأخيرة قبل العدوان، متزامناً مع تسريبات مفادها أن تلك الدول تبحث عن بدائل لتمرير نفط الخليج عبر طريق آخر غير مضيق هرمز الذي قد يغلقه اندلاع المواجهات العسكرية.

في المقابل سعى نجاد بوضوح لـ«تأريض» جهود تشيني وإقناع أبو ظبي بخطورة التهديدات الأمريكية على استقرار المنطقة وأمنها ككل مع التذكير بأهمية حجم الاستثمارات الإيرانية في الإمارات وضرورة إبقاء المشاكل بين البلدين عند حدود الجزر المتنازع عليها دون توسيع دائرة ذلك باتجاه إشعال المنطقة تحت وطأة ضغوط الحليف الأمريكي كون طهران لن تسكت كما أكدت مراراً وتكراراً على أي عدوان يطالها.

المحاولات الأمريكية لحشد نظم «الاعتدال العربي» ضد إيران كما عبر عن ذلك أحد المسؤولين الأردنيين قبل وصول تشيني لعمان رافقها تأكيد أن محادثات المذكور كانت تتعلق بالعراق بشكل أساسي، وهو ما أثمر «بغدادياً» بتصريح لجلال طالباني قال فيه إن «مشاعر (طائفة عراقية معينة) باتت موجهة نحو إيران وليس نحو الولايات المتحدة».

وفي عناصر المشهد الأخرى تسعى حكومة السنيورة المحاصرة في لبنان لوضع قضية المحكمة الخاصة باغتيال الحريري خلفها من خلال نقل المحكمة للفصل السابع وفرضها بالقوة العسكرية باعتبارها دولية وليس تحت الفصل السادس إذا كانت ذات طابع دولي، وبالتالي يسعى ذلك الفريق ومن خلفه في عواصم القرار ولاسيما في واشنطن وباريس التي استقبلت سعد الحريري استقبالاً رئاسياً مزدوجاً لجعل تلك المحكمة كسيف ديموقليس المعلق بشعرة فوق رقبة دمشق بالدرجة الأولى وحلفائها في لبنان بالدرجة الثانية كي يعدلوا من «سلوكهم المارق» المعيق للمشاريع الأمريكية. كما يبرز سعي الفريق الحاكم في لبنان لفتح معركة الرئاسة مبكراً في ظل تخوفه من عدم ضمان مسألة أغلبية الثلثين في البرلمان في سياق صراعه مع المعارضة وتمسك كل من الفريقين بأوراق الاستعصاء أمام الفريق الآخر.

وزامن ذلك قيام الاحتلال الإسرائيلي بإطلاق أكبر مناورات عسكرية لممارسة المزيد من الضغوط على المنطقة من باب استعراض العضلات أمام الخارج الإقليمي والداخل الإسرائيلي المأزوم ولاسيما لجهة محاولة تجاوز الانعكاسات المعنوية لتقرير فيننوغراد.

كما زامنه في الأراضي المحتلة (التي عادت فوضى الاقتتال الداخلي «لتنغل» فيها) قيام سلطات الاحتلال بتدشين ١٠ آلاف وحدة استيطانية جديدة في القدس المحتلة تحت الشعار الإسرائيلي الجديد «اشتر بيتاً واحفر نفقاً» بمعنى المضي في الخطة الإستراتيجية لتهويد المدينة في ظل عوامل عديدة من بينها التخوف من عدم إمكانية المستوطنين من تحقيق التوازن السكاني مع الفلسطينيين بحكم تباين نسب الولادات بين الطرفين (٢.١٪ مقابل ٤٪).

والمفارقة أن ذلك يجري دائماً بالتوازي مع حديث «قوى الاعتدال العربي» عن التمسك بما يسمى بالمبادرة العربية للسلام التي رفضت مجرد فكرة مناقشتها وزيرة خارجية الاحتلال خلال تعليقها على اللقاء بممثلي جامعة الدول العربية.

أما اللافت إيجابياً هنا فهو أن الرئيس الأسد لم يتطرق لهذه المبادرة خلال كلمته أمام مجلس الشعب مؤخراً مثلما رفضها الأمين العام لحزب الله واصفاً إياها بأنها تخدم الأمريكان وتأتي بتوقيت غير مناسب.

في كل الأحوال تبدو المنطقة مجدداً حبلى بمزيد من المطبات وحقول الألغام التي باتت تغطيها بالكامل وعلى نحو متزامن بصاعق «أمريكي وشركاه». ولا يغير من حقيقة ذلك استمرار محاولات بعض هؤلاء «الشركاه» في بروكسل مثلاً خطب ود دمشق في محاولة لعزلها عن طهران ولاسيما مع تكاثف غيوم العدوان فوق سمائها، وهو ما يعني من جديد ضرورة اتخاذ كل الإجراءات الكفيلة بتحييد الآثار السلبية لأي مواجهة محتملة إن لم يكن كسبها بمنطق المقاومة مستكملة العوامل.

■ o.bozo@kassioun.org

تحت عنوان «التدهور الاقتصادي وبدايات السقوط» نشر الباحث اللبناني د. غالب أبو مصلح مادة بحثية موسعة في صحيفة الأخبار تناولت بالقرائن التاريخية والراهنة والأرقام الموثقة واقع الإمبريالية الأمريكية الآيل للانهيار. وتقوم قاسيون فيما يلي بنشر مقاطع من هذه المادة لتتبعها بحوار مع د. أبو مصلح تعميقاً لبعض جوانب الموضوع حسبما تسمح المساحة المتوافرة:

الولايات المتحدة نحو ١٩٢٩ مجدداً
واشنطن في مأزق تاريخي باتجاه السقوط

«إن تاريخ صعود قوى عظمى ثم انحدارها من منظومة القوى العظمى، منذ تقدم أوروبا الغربية في القرن السادس عشر، مثل إسبانيا وهولندا وفرنسا والإمبراطورية البريطانية، والولايات المتحدة، يظهر تلازماً واضحاً على المدى الطويل بين الطاقة الإنتاجية وواردات الدولة من ناحية، والقدرات العسكرية من ناحية أخرى». (بول كينيدي)

عند نهاية الحرب العالمية الثانية، أصبحت الولايات المتحدة القوة العالمية الكبرى على الصعيدين الاقتصادي والعسكري. كانت الدولة الوحيدة التي خرجت من الحرب أغنى مما كانت عليه عند دخولها. فقد بلغ احتياطي الذهب لديها ٢٠ مليار دولار، وما يعادل قرابة ثلثي الاحتياطات العالمية من الذهب، التي بلغت في ذلك الحين حوالى ٣٣ مليار دولار. وكانت الولايات المتحدة تنتج أكثر من نصف الإنتاج الصناعي العالمي، وتبلغ صادراتها ثلث الصادرات العالمية.

لهذه الأسباب مجتمعة، استطاعت الولايات المتحدة بناء النظام العالمي الجديد، في ظل هيمنتها وحسب مصالحها، على المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية. وكانت مقومات هذا النظام الجديد المنظمات المالية والتجارية والاقتصادية المتمثلة بثلاثيّ صندوق النقد والبنك الدوليين ومنظمة التجارة العالمية. وكذلك تم بناء نظام نقدي عالمي حسب اتفاقات «بريتون وودز»، حيث أصبح الدولار هو العملة العالمية التي ترتبط به عملات الدول، وثبت سعر صرفه عبر ربطه بالذهب، وعبر جعله قابلاً للتحويل إلى ذهب أيضاً. (..)

وكان على القوات المسلحة الأمريكية تأمين مصادر الخامات والسلع الإستراتيجية وطرق إمدادها، (..) وهناك علاقة جدلية بين القوة العسكرية والثروة، كما يقول بول كينيدي: «إن الثروة ضرورية من أجل بناء القوة العسكرية، والقوة العسكرية ضرورة، في العادة، من أجل الحصول على الثروة والحفاظ عليها». (..) وسبق لروزفلت، بعيد الحرب العالمية الثانية، أن وضع المبدأ المعروف باسمه، في خطاب ألقاه في شهر آذار ١٩٤٧ لمواجهة «التهديد الأحمر»، واضعاً ثنائية «الخير والشر» في هذا العالم، (..) وما زالت هذه الثنائية قائمة حتى اليوم، مع حلول الإسلام وحركات التحرر الوطني مكان الاتحاد السوفييتي، تبريراً للمغامرات الإمبريالية وأهدافها الاقتصادية والسياسية. (..) عند بداية سنة ١٩٧٠، كان للولايات المتحدة أكثر من مليون جندي منتشرين في ثلاثين دولة في العالم. وأصبحت عضواً في أربعة أحلاف عسكرية دفاعية ومناطقية (..) ولديها معاهدات دفاع مشترك مع ٤٢ دولة، وعضو في ٥٣ منظمة عالمية، وتقدم مساعدات عسكرية واقتصادية إلى حوالى ١٠٠ دولة في العالم.

غير أن تقديم مساعدات اقتصادية لا يعبر عن نوايا طيبة تجاه دول العالم الثالث بشكل خاص. بل إن تقديم هذه المساعدات هو لخدمة المصالح والأهداف الإمبريالية الأمريكية. يقول «بول سويزي»، المفكر والاقتصادي المرموق، «عموماً، كلما زادت المساعدات، كلما قلّ التطور، والأسباب عديدة. إن نسبة عالية من المساعدات ذات طابع عسكري... وهي مجدية فقط لدعم حكومات غير شعبية، ولإبقائها في السلطة. قسم كبير منها يتم امتصاصه من قبل مسؤولين فاسدين، أجانب وأميركيين».

كما إن نمو القدرات العسكرية الأميركية كان استجابة لحاجات النظام الرأسمالي الأميركي الذي تتجه تركيبته أكثر فأكثر نحو مزيد من الاحتكار والعولمة. ففي هذه المرحلة من نمو الرأسمالية، المرحلة الإمبريالية الجديدة، حيث تتغير قوانين المنافسة بين الشركات العملاقة المعولمة، تأخذ المنافسة بين الشركات أشكالاً جديدة، تركز على جهود التسويق والبيع. وتنعكس جهود التسويق والبيع هذه على العملية الاقتصادية و«تخلّف ثقافة مميزة للرأسمالية الاحتكارية»، كما يقول بول سويزي. ثم «إن حاجات الشركات العملاقة تقوم على توجيه نشاط الدولة... إذ إن هذا النظام لا يعرف طريقاً آخر سوى العنف غير المحدود، أو تهديدات العنف للسيطرة على «إزعاجات» الأنماط الاجتماعية الأخرى، وحركات التحرر الوطنية الثورية».

إن تنمية القدرات العسكرية الأميركية لم تكن دائماً استجابة لتحدّيات عسكرية، (..) بل إن منطق النظام وبنيته الداخلية يفرضان مزيداً من الإنفاق العسكري، وتوسيع الهيمنة الأميركية على الصعيد العالمي. إن استقرار النظام الاقتصادي الأميركي يعني بشكل ما، استقرار وحداته الإنتاجية العملاقة، أي الشركات الكبرى المعولمة، عبر تأمين طلب مستقر لإنتاجها من قبل الحكومة. ويشكل الإنفاق العسكري المتنامي إحدى ركائز استقرار الطلب ونموه. فالمجمع الصناعي العسكري يشكل قوة ضغط كبيرة ومتحكمة إلى حد بعيد بالقرار الأميركي الداخلي والخارجي، ويدفع في كثير من الأوقات إلى خيار الحروب لرفع الطلب على إنتاجه (..) ويقول توم أودونيل «إن الشركات النفطية العملاقة، ومعظمها أميركي، اندمجت عملياً منذ حرب ١٩٧٣ في المجمع الصناعي العسكري، ليشكلوا جميعاً الحلقة الجهنمية في السياسة الخارجية الأميركية».

(..) فالحرب على العراق رفعت من ربحية شركات النفط كما صانعي الأسلحة (..) يقول بول كينيدي، «إن القوى العظمى التي تمر في مرحلة الانحدار النسبي، تستجيب بإنفاق أكبر على «الأمن»، وبالتالي تحوّل موارد ممكنة من التوظيف المنتج، وتعاظم مأزقها الطويل الأجل»، وهذا ما يحصل للولايات المتحدة، إذ تحاول التعويض عن انحدار هيمنتها الاقتصادية بتنمية هيمنتها العسكرية، لتوسيع أسواقها الخارجية، في الوقت الذي تزداد حمائية في الداخل، ولمزيد من التحكم في مصادر النفط والمواد الخام الإستراتيجية، وطرق إمدادها، بغية ابتزاز دول العالم بهذا التحكم. ولكن المغامرات (العسكرية) الإمبريالية أظهرت أن الحروب تنعكس بشكل سلبي وقاس على داخل الدول المعتدية، على الصعد الاقتصادية والسياسية، كما على تماسك ووحدة مجتمعات هذه الدول.

أصبح الانحدار النسبي المتسارع للولايات المتحدة واضحاً للمراقبين الاقتصاديين والسياسيين. فنصيب الولايات المتحدة من الناتج العالمي آخذ في الهبوط منذ بداية الخمسينات من القرن الماضي، مما يقارب ٤٥٪ إلى أقل من ٢٠٪، ويتجه إلى ١٦٪ في الوقت الراهن. (..)

كانت الولايات المتحدة أكبر دولة دائنة في العالم، فأصبحت أكبر دولة مدينة. (..) وبلغ عجز الموازنة لسنة ٢٠٠٤ ٤٢٢ مليار دولار، ما يعادل ٣.٦٪ من الناتج المحلي القائم. أما العجز في حساب المدفوعات الجاري السنوي، فقد بلغ ٥٤١.٧ مليار دولار لسنة ٢٠٠٣، وارتفع إلى ٧٨٠.٦ ملياراً لسنة ٢٠٠٥، وبلغ ٨٥٠ مليار دولار لسنة ٢٠٠٦. كما بلغ عجز الميزان التجاري لسنة ٢٠٠٦ حوالى ٨٣٠ مليار دولار، مرتفعاً من حوالى ١٦٠ مليار دولار في سنة ١٩٨٦. وهبط معدل الادخار الوطني تدريجاً من ٧.٧٪ لسنة ١٩٩٠ إلى ٠.٢٪ في أيلول ٢٠٠٤، فإلى السلبية في سنة ٢٠٠٦. ويحدد معدل الادخار معدلات النمو الاقتصادي على المديين المتوسط والطويل.

(..) ولا تظهر التحليلات الاقتصادية، كما الأرقام المعلنة عمق المأزق الاقتصادي الأميركي. (..) وكما دمرت حرب فيتنام سمعة أميركا وسمعة جنرالاتها، وأدت إلى تصدع إجماع المجتمع الأميركي حول الحرب وأهدافها، وكشفت أخلاقيات الولايات المتحدة ومدى انحطاطها، فإن الحرب الإمبريالية التي تشنها الولايات المتحدة على العراق وأفغانستان بشكل خاص، تنمّي عداء شعوب العالم لها، وتدفع أميركا إلى مأزق سياسي اقتصادي اجتماعي (..) ويبدو أن العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي أدت إلى ركود سنة ١٩٢٩ تتجمع الآن وتنفجر لتدخل الإمبريالية الأميركية في مأزق تاريخي يؤدي إلى سقوطها بسرعة كبيرة. ■■

❖ **«إن الثروة ضرورية من أجل بناء القوة العسكرية، والقوة العسكرية ضرورة، في العادة، من أجل الحصول على الثروة والحفاظ عليها»**

❖ **«إن حاجات الشركات العملاقة تقوم على توجيه نشاط الدولة... إذ إن هذا النظام لا يعرف طريقاً آخر سوى العنف غير المحدود، أو تهديدات العنف للسيطرة على «إزعاجات» الأنماط الاجتماعية الأخرى، وحركات التحرر الوطنية الثورية»**

❖ **المجمع الصناعي العسكري يتحكم إلى حد بعيد بالقرار الأميركي الداخلي والخارجي، ويدفع إلى خيار الحروب لرفع الطلب على إنتاجه.**

د. غالب أبو مصلح لقاسيون:
الانهيار المرتقب للإمبريالية الأمريكية يبشر بفجر عربي جديد

الدكتور غالب أبو مصلح، الولايات المتحدة تتجه اقتصادياً نحو الانهيار، وعسكرياً نحو الأفق المسدود بمعنى استحالة التوسع العسكري اللانهائي، ما هي المخارج المحتملة أمامها؟

الانهيار لا يعني انهياراً شاملاً في الولايات المتحدة ولكن يعني إلى حد بعيد الانطواء إلى الداخل، وضعفاً متنامياً بفقدان الامبريالية الأمريكية قدرتها على الهيمنة والسيطرة والعدوان.

ويعني أن أسلوب الحياة الأمريكية يجب أن يتغير، إذ أن هذا الأسلوب اعتمد على الهيمنة الأمريكية أولاً وبشكل خاص، والنهب الذي تمارسه أمريكا على الصعيد العالمي وخاصة على صعيد بلدان العالم الثالث، وعلى توفر الخامات بكميات كبيرة ورخيصة وخاصة النفط. فنمو قدرات دول ومراكز اقتصادية كبرى أخرى في العالم مثل أوروبا، علماً بأن نمو أوروبا في الماضي ثم الصين والهند سيضغط على هذه المواد الخام وعلى النفط بشكل خاص من ناحية الطلب حتى تدفع أسعار هذه الخامات إلى الارتفاع المتنامي مما يحرم الحياة الأمريكية من هذا البذخ.

هل هذا يعني أن المواطن الأمريكي ينبغي أن يعتاد على نمط استهلاكي أقل؟

نعم على نمط أقل بكثير ما سيحدث هزة ضخمة في داخل الولايات المتحدة لأنه من الصعب على شعب من الشعوب أن يتعوّد على نمط استهلاك أقل مما كان يستهلكه في الماضي.

ولكن هذا سيهدد بنية المجتمع وبالتالي بنية الدولة الأمريكية؟

ممكن جداً أن يهدد النظام الأمريكي، ولا شك هو يهدد بنية هذا المجتمع. إذ أنه سيخلق تناقضات جديدة في قلب النظام الأمريكي مما سيدفعه إلى متغيرات عديدة. اعتقد أن هذا النظام الإمبريالي الجديد، أي هذه الرأسمالية في مرحلتها الأكثر احتكارية وعولمة والتي يمثلها نظام الليبرالية الجديدة التي أسقطت كل المفاهيم الحمائية للدولة، وعادت إلى ليبرالية القرن التاسع عشر، الليبرالية المتوحشة، هي من يخلق الآن تناقضات ستزداد حدة. فعلى سبيل المثال: الفروقات الطبقية في الولايات المتحدة آخذة في النمو منذ عام ١٩٨٠ عندما استلم المحافظون الجدد السلطة. والفروقات في المداخيل بين الفئات الأكثر فقراً والأكثر غنى تزداد بشكل مطّرد، ومن سنة ١٩٧٥ أو ١٩٨٠ حتى ٢٠٠٦ لم يرتفع دخل الطبقات الشعبية إلا بشكل محدود جداً وهناك بعض الطبقات انخفض دخلها الحقيقي.

وبالتالي فإن التحليل الذي طرحه ماركس في البيان الشيوعي في توصيف هذا النظام الرأسمالي الليبرالي الحالي يصبح أكثر صحة من أي وقت مضى من عمر الرأسمالية، ما يعني أن التناقضات الحادة ستعود إلى هذه المجتمعات التي خففت منها وأبطأتها إلى حد بعيد الكينيزية بعد الحرب العالمية الثانية والتي وضعت نموذجاً لتخفيف التناقضات الموصوفة بالبسماركية.

وللتذكير فإن بسمارك بنى دولة الرفاه وأعطى للطبقات العاملة الكثير من حقوقها والضمانات. ولكن تأتي الليبرالية الجديدة الآن لتزيل هذه الحقوق والضمانات وتدفع برواتب القوى العاملة إلى الانخفاض المطلق أو النسبي مما سيعيد ثورية الطبقات العاملة أي البروليتاريا بالمعنى الأوسع للكلمة، ويهدد هذا النمط الذي دخل بالفعل في أزمته.

وما هي الآفاق الزمنية لحجم المديونية الأمريكية في مسارها التصاعدي وصولاً إلى ذروة ما قبل الانهيار المحتمل، وقد ورد في المادة التي نشرتها تعداد لحجوم مديونية الولايات المتحدة التي تحولت من أكبر دولة دائنة لأكبر دولة مدينة في العالم؟

من الصعب تحديد ذروة ما قبل الانهيار ولكن هناك عامل أساسي ضاغط في الولايات المتحدة على الصعيد الاجتماعي وهو ما يسمى بـBaby Boomer أي ذاك الانفجار السكاني الذي حدث بعد الحرب العالمية الثانية.

الأجيال الكبيرة ستبدأ بالتقاعد التدريجي من الآن وخلال سنوات محدودة وسيبلغ حجم الإنفاق على هؤلاء المتقاعدين الجدد ٥٠ تريليون دولار تقريباً (٥٠ ألف مليار دولار) وليس لدى الولايات المتحدة أية مخصصات لمجابهة هذه الأزمة التي تنتظر الوصول إليها دون استعداد وهي لا تستطيع أن تخفض الميزانية الحالية، إذ أن ٨٠٪ منها مخصص للإنفاق الجاري الذي لا يمكن المساس به إطلاقاً مثلما لا يمكن المساس بالإنفاق العسكري الذي يتصاعد بشكل سريع، فكلما اشتدت أزمة الإمبريالية كلما ارتفع الإنفاق العسكري لتعوض قوى الذراع العسكري عن انخفاض القدرات الاقتصادية الامبريالية.

ويرتفع الآن هذا الدين الخارجي بمعدل تريليون دولار سنوياً وهو ما يعادل تقريباً العجز في الحساب الجاري الحقيقي في أمريكا.

منذ هذه السنة بدأت ظواهر جديدة تشير إلى أن دول العالم باتت غير مستعدة لأن تمّول هذا الإنفاق الأمريكي الكبير، إذ أن البنوك المركزية في اليابان والصين وهونغ كونغ خفضت من شرائها لسندات الدين الأمريكية. ومن هنا بدأت تظهر الأزمة على الدولار وهذه السنة انخفض سعر صرف الدولار بنسب عديدة ويتوقع أن ينخفض بنسب أعلى، هي بداية الأزمة. وهناك توقعات بأن يحدث في الولايات المتحدة من الآن وخلال أشهر أو سنوات قليلة انهيار كبير مثل الانهيار الذي حصل عام ١٩٣٠ وسيشكل هذا الانهيار كارثة على الولايات المتحدة، وإذا حصل كما يتوقع العديد من الخبراء فقد يفضي إلى تفشي البطالة بنسب عالية وإلى انهيار الناتج المحلي الأمريكي القائم وإلى إفلاسات عديدة على صعيد رجال الأعمال والبنوك والمؤسسات الصناعية الكبيرة، ويدخل أمريكا سريعاً في أزمة خانقة مصيرية.

وماذا عن تصريحات وزير الخزانة الأمريكي مؤخراً بخصوص حجم الدين الأمريكي الحالي؟

الدين العام الأمريكي للقطاع العام والخاص يبلغ حوالي ٤٠ تريليون دولار هو يزداد بنسب كبيرة سنوياً.

الازدهار الاقتصادي الذي حدث في الولايات المتحدة سابقاً عُدَّ أكبر مرحلة نمو دون عقبات. السبب الأساسي في هذا النمو الاقتصادي الوهمي هو تمويل الإنفاق عبر الاستدانة عبر تشكيل فقاعات مالية في البورصة ثم في السوق العقاري الذي مكن المستهلك الأمريكي من أن يدفع الرهونات على المنازل ومن ثم يحصل على قيمة يستطيع أن يستهلكها ومن هنا انخفض معدل الادخار العام في الولايات المتحدة إلى الحدود السلبية وهو أمر خطير على المدى المتوسط والطويل. وهذا يعني أن الإنفاق يزيد كثيراً عن الادخار بل إن اهتلاك الموجودات الأمريكية هو أعلى بكثير من التوظيف، وبالتالي هناك إفقار مستمر ومتماد للقدرات الإنتاجية وللموجودات على الصعيد الاقتصادي.

هناك مؤشرات عديدة جداً تدل على أن المجتمع الأمريكي يغوص في مأزق بنيوي، وما إذا كان هذا مأزق الولايات المتحدة أم مأزق الرأسمالية كنظام ككل فهذا يحتاج إلى بحث منفصل.

د. غالب.. الاقتصاد وعلاقته بالسياسة والعسكرة، كيف يتجلى هذا الموضوع على المنطقة العربية ببلدانها وبؤرها المختلفة؟

على المدى القصير يعني هذا ازدياد الامبريالية الأمريكية شراسة، ولكنه على المدى المتوسط والطويل يعني انهيار هذه الإمبراطورية وبالتالي قدرة المنطقة العربية على التحرر من هيمنتها التي كانت هي العامل الأساسي في إفقار العرب وتخلفهم منذ منتصف الخمسينات وإلى الآن. إن انهيار الإمبريالية الأمريكية سيدفع مجدداً الطموحات الاستعمارية لدى بعض الدول الأوروبية، ويظهر هذا الآن في أوربا التي تحلم أن تحل محل الولايات المتحدة المنهارة. كما أن الهزيمة المؤكدة للإمبريالية في العراق ستحدث هزات عديدة على المنطقة العربية من الصعب تخيل مدى تأثيرها الإيجابي.

وإن سعي بعض النظم العربية لتعديل وتلطيف حجم ارتباطها بالمركز الإمبريالي الأمريكي ليس دافعه فقط توقع انهيار الإمبريالية الأمريكية بل التخوف من غضب الشعوب العربية التي تزداد إيماناً وتصميماً على النضال ضد هذه الإمبريالية وضد استلحاق هذه الدول بالمركز الإمبريالي الأمريكي أو غيره. ومن هنا هناك توقع بانهيار بعض هذه الأنظمة التابعة. فعندما تخرج أمريكا من العراق، اعتقد أن النظام الأردني سيصبح غير قادر على الاستمرار وكذلك النظام المصري الذي اعتقد أنه سيتعرض لتغييرات كبيرة.

وبالمثل بدأت تظهر تداعيات هزيمة إسرائيل في حرب تموز، وسيكون لهذا تداعيات على المدى المتوسط أكبر بكثير مما نقدر الآن إذ أن إسرائيل هي القاعدة الأمريكية في العالم والقبضة الحديدية الأمريكية في المنطقة. ولكن انهيار الإمبريالية الأمريكية، إذا أحسنا التصرف والعمل، يبشر بفجر عربي جديد.

د. غالب أبو مصلح من لبنان شكراً جزيلاً لك ■■

«سوق عكاظ»

❖... لو عاد أي عربي إلى ما قبل الإسلام وحضر مهرجان العرب «سوق عكاظ» فإنه سيدهش لروعة ما يرى وما يحضر وما يعاين:

❖... فهنا النابغة الذبياني... يتكئ على محجنه مذهولاً من بكائية رائعة «للخنساء» قائلاً لها: اذهبي فأنت أشعر النساء.. ولولا أنه سبق وقضيت «للأعشى» لقضيت لك..

❖... وعلى تلة أخرى يقف المنادون قرب قدور «حاتم الطائي» يرجون «أهل الموسم» بتكريم «حاتم» شبعاً ورياً من زاده العربي أعده لأهل الموسم.

❖... وهذا «خالد بن جعفر بن كلاب العامري» ينتفض على ظلم «زهير بن جذيمة العبسي» فيقتله مقابل ركلة «وجهها زهير» إلى عجوز عامرية.. وهؤلاء بنو عامر.. يعرضون في السوق: «يا أهل عكاظ: مَن جائع لنطعمه.. من خائف لنؤمنه.. من ضائع لنوصله إلى أهله.. من ظمئ لنرويه..» وياله من نداء..

❖ وهؤلاء سادة قريش يتنافسون في توزيع المكارم على الفقراء والشعراء والمحتاجين، كما يتنافسون في بيع الأدم والعطور والبر والبز والرماح الحظية وتمرهجر...

❖ وأولئك فرسان... يتناهبون حلقة السباق وسط حشد من كل قبائل العرب... عنترة وعامر بن الطفيل وعروة بن الورد... وسواهم.. وذلك عاشقٌ أضناه الهوى فقطع الفيافي بحثاً عن وجه حبيب.

... وذلك قس بن ساعدة على جمل أورق ينذر الناس:

«أيها الناس اسمعوا وعوا ما فات مات وما هو آت آت»...

❖... وتلك قباب من السعف ترن تحتها أوتارٌ تتغنى بقصائد الهوى:

ودفعتها فتدافعت

كتدافع الظبي الغرير

❖... ذلك هو العالم الذي تحدثت عنه في مسلسل أنجزته منذ ثلاث سنوات وما يزال يدرس بين مدراء التلفزيون ومسؤوليه حتى تحوّل الأمر إلى ما فوق المهانة وإليكم نموذجاً مما يدور:

١ ـ «إن المسلسل يهاجم الفرس... وتسري الإشاعة كالنار في الهشيم..» طبعاً المسلسل لا يهاجم الفرس مع أن كسرى أنوشروان ليس أحمدي نجاد بأي حال من الأحوال.

٢ ـ هل لنا مصلحة أن نقول هذا العز العربي والتجربة الفريدة في التاريخ البشري كله: كان في السعودية.. وهنا ليس لك إلا أن تضرب رأسك بالحائط حتى يسيل دماغك.. فماذا ترد على كلمة كهذه.. ولكن لا بدّ من عبور هذا الصراط فوق جهنم:

ـ إن السعودية تسمية حديثة وفظيعة للجزيرة العربية أو معظمها بدأت منذ عام ١٧١٥ وما بعد.. والأهم أن هذه البقعة الهائلة من دنيا العرب بكل ما تحمله من تاريخ وسادة عظام وعلى رأسهم «رسول الله صلى الله عليه وسلم» وصحابته وقادته وشهداء الدعوة الإسلامية العظام رضوان الله عليهم ينتمون إلى هذه الأرض.. وإن الكعبة الشريفة ومكة المكرمة والمدينة المنورة تقع في الجزيرة العربية.. فماذا نفعل أيها السادة.. والسؤال الأهم.؟.

كيف يمكن اختصار التاريخ بهذه الطريقة أو بالأحرى كيف يمكن نحر المنطق وكل منطق في الدنيا بهذه الطريقة.. وبالمناسبة إن أنور السادات مصري.. فهل نلغي مصر.؟! ونوري المالكي عراقي فهل نلغي العراق..

«والأكثرية النيابية الأمريكية في لبنان لبنانية فهل نلغي جبران وفيروز وحسن نصر الله».

والأدهى والأمر.. منطق التفكير ذاته.. فإن كان جهلاً فيا للفجيعة.. وإن كان استهتاراً فيا للهول..؟!

❖ لا أريد الغوص في التفاصيل ولا في الأسماء احتراماً للزمالة وتكريماً للمعرفة والعشرة.. ولكن الكأس فاضت حتى ملأت كل الأوعية بما فيها الأوعية الدموية.. وهي إما ستنفجر أو تهترئ.. ألا يحق لي ولو كلمة».

❖... بعد نقاشات بدأت منذ ثلاث سنوات وهذا المسلسل يروح ويجيء.. ينحر بإشاعة من هنا وإشاعة من هناك.. وجهل مرير من هذا وتجهيل متعمد من ذاك.. انفجر الاقتراح التالي: «حولوا مسلسل عكاظ إلى المفتي»... وأشهد أن الاقتراح أسعدني لأن «سيدنا المفتي» متنور ومثقف وقد يحسم الموضوع كله بكلمة واحدة... علماً أن تاريخ العرب قبل الإسلام خارج اختصاص «سيدنا المفتي»، والحجة التي سمعتها «هل يجوز إظهار عبد المطلب ابن هاشم بن قصي على الشاشة»: يا سادة يا عباقرة يا جهابذة، إن عبد المطلب عاش في الجاهلية... واسمعوا هذه: منذ فترة طلبت مني محطة فضائية سودانية «مسلسلاً عن الرسالة النبوية المشرفة..» وأرسلوا لي قائمة من الرغبات أولها ما يلي: نرجو إبراز دور عبد المطلب وآل بيته في رعاية رسول الله (ص) صغيراً، ودور عمه أبي طالب وآل هاشم في حماية الرسول الكريم والدعوة، ولكي أريحكم فإن الممنوعين من الظهور باجتماع الأطراف كلها:

رسول الله صلوات الله عليه وزوجاته وبناته رضوان الله عليهن جميعاً.. وثمة خلاف حول ظهور صحابته.. لكن الأزهر أفتى بعدم ظهور الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم، ولا مانع من أن نسمع أصواتهم..

هذا فقط لأريحكم من تكبيد سيدنا المفتي العناء... ولم يكن أحد منهم في عكاظ. ارتحتم. ولاداعي لتفنيد مدخل الاقتراح ومخرجه... فإن كان عن جهل فيا ويلتاه.. كيف تديرون عملكم.. وإن كان عن حقيقة.. فلماذا تأخذون ضغائنكم إلى ما لا يحتمله أو يتصوره أحد.

... وبالمناسبة فإن منطق المقايضة الذي يطرحه أحدهم لا يمكن تشبيهه إلا بأخلاق السيرك ومنطق الحواة.

فهل نلعب بالأفاعي أيها السادة. والله لو قلت ما أعرف لتفصدت جباهكم عرقاً... ولكن...

❖ بعد هذا وذاك وما قبله وما سيليه فإني أستصرخ «ضمائركم» «انتبهوا إلى القوسين» أن تكفوا عن النقاش حول «سوق عكاظ»، وأن تلقوه في أقرب سلة مهملات قرب أقدامكم ليس رحمة بي وبالعرب.. بل بحاتم الطائي وعنترة وخالد بن جعفر الكلابي وعمرو بن كلثوم والخنساء وقس بن ساعدة وعبد الله بن عجلان وعروة بن الورد.. فإذا كنتم تريدون أن تجعلوني «عبرة لمن يعتبر.. فما علاقة هؤلاء السادة الأفاضل».

❖ ولكي أريحكم وتريحوني فلا بأس أن تعتبروا هذا الإشعار بمثابة استقالة من الوظيفة إذا كان ذلك يهدى خواطركم.. فليس العمل الأول لي الذي يلقى «في سلة المهملات» وللذكرى فقط أذكر العناوين التالية: ـ الشفق الأزرق ـ مسرحية أعدت وجهزت ثم قضي عليها بهاتف واحد.. بتهمة ما أنزل الله بها من سلطان.

وما أزال أذكر كلمة «أحدهم»: سأحولها إلى شفق أسود، فتوقفت في اليوم التالي فوراً وبدون نقاش.. بالمناسبة المسرحية تدور في «أوغاريت» أي منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام.

«ميسلون» مسرحية غنائية أخرى أهملت وألقيت في السلة تحت بند «التكاليف».. عام ٢٠٠٥.. يبدو أن ميسلون لا تستحق أن يصرف عليها أما سواها فيستحق.

❖ «شرف قاطع طريق» مسلسل عن رواية للأديب الكبير حنا مينة أهمل حتى الحديث عنه.

❖... «قمر أيلول» سباعية تتحدث عن البطالة في الريف بأسلوب جديد وشفاف طرحت عليّ المقايضة التالية: اختر أحد العملين «قمر أيلول» أو «سوق عكاظ»، ولا أدري ما علاقة الحب والبطالة في الريف... بتاريخ العرب اللغوي والثقافي والتجاري.. ولا أريد أن أشرح الأسباب.

❖.. إلى هنا أنتهي... من العرض.. ويبقى الطلب.؟..

هل لديكم مسدس محشو برصاصة واحدة أضعها في صدغي وأرتاح من سماع هذه الآراء وتلك المقايضات وكل تلك الأنماط من الإهانات التي تجاوزت قدرتي على بلعها أو العيش معها.. أقول هذا مكرهاً.. لإنني لو أبقيتها فالجلطة ستدهمني كقذيفة صائبة..

... ولأنني أب لطفلتين صغيرتين ما تزالان بحاجتي: أرجوكم أوقفوا حواراتكم.. ولا تنسوا سلة المهملات...

وإن نسيتم اسمي... فإن هذه الجائزة الكبرى التي لن أنساها لكم..

أدام الله أفضالكم وبيوتكم وبوناتكم وسياراتكم... و... لو أكملت لاضطررنا للوقوف أمام القضاء... وليس من طبعي الأذية.

■ م عبد الكريم

ربّما!

رسالة في صندوق بريد أيّار

غامضٌ جدّاً، وكثيف المعاني جداً، أنتَ الآن يا أيار، الكلّ يتأتئون في قراءتك، وما من أحد يظفر بجملة مفيدة.

ما مشكلتك؟ هلْ خاصمتكَ الحبيبة، وككلّ المهجورين، عكستَ مزاجكَ على أهل هذه البقعة المنهكة من انعكاس الأمزجة؟ أم أنّك تعلنها غضبة الابن الخامس ضدّ أمّك السنة، القاصرة حنانها على اثنين من دزينة أولادها، البكرَ وخاتم العنقود: الكانونين.. تنتزع المكانة المشتهاة من إشعال فتنة الإخوة الأعداء؟ أم تراك مصابٌ بالضّجر وتفعل ما تظنّه جالباً للهو والتسلية؟ أم بالغتَ، في الفترة الأخيرة، في الإفراط بالشّراب؟

ما نراه.. لا مشكلة، إنّما أنت الإشكال نفسه.

الناس يرمونك بالخطيئة، بشائنة، بنوع من الجنايات التي تقود فاعلها إلى استنفاف التراب ندماً، بغيةَ إمطار الوحول، في عملية تبكيت عقيمة، لا طائل منها بتاتاً، في نُشدان الغفران.

وثمّة من يقول إنّ ميلاً فيكَ إلى جعل العالم عقباً على رأس، بات يحرّضك على تمرين قواك، واختبارها، قبل تنفيذ عهد قديمَ قطعته أمام نفسك.

وثمّة من يرى إلى هذه القلقلة لهواً بلهو، لشخص متهتك، لم يعد يسلّيه أقلّ من هدم العالم على رؤوس ساكنيه.. ويالك من طاغية!

لا نفهمك كما ينبغي، لكنك، وبكلّ تأكيد، تفهم عمق ما نصبو، فتقدّم المفاجأة مطراً، وتغسل ما لم يعد قابلاً للغسيل، لغايتين متناقضتين، نفي المستحيل من جهة، وتأكيد أنّنا، في هذه الألفية العمياء، ما نزال بحاجة إلى أسطورة وأكثر..

اعصفْ..

طهّرنا، فالقذارة، وقد أخذت شكلها النهائي، صارت تفصح عن شخصية متماسكة، ليس من الهيّن الإطاحة بها.

اعصفْ أكثر.. نفهمك أكثر..

تقول صبيةٌ ساخرة، وهي تقف على الشرفة مستمتعةً ببروقك المضيئة كألعابٍ نارية: أيار يلتقط صوراً لي.. فتبتسم.

في وضع هذه البنت العابثة، فقط، نجد تأويلك..

■ رائد وحش

raedwahash@kassioun.org

خمسون قصة عربية

يحوي العدد الأخير من كتاب (العربي) خمسين قصة لخمسين كاتباً عربياً، كانت مجلة (العربي) قد نشرتها متفرقةً في أعدادها على مدى نصف قرن من الزمن، وها هي ذي تجمعها في كتاب تحت عنوان (عن الدهشة والألم).

في هُذه البانوراما يجتمع كتاب من مختلف الأجيال والبلدان العربية، بحيث يشكل الكتاب نوعاً من الإطلالة على تنوع وثراء مناخات وعوالم القصة العربية. ومن الكتاب: إبراهيم صموئيل وسلوى بكر وبسمة الخطيب وعبده خال وابراهيم أصلان وممدوح عزام وإداور الخراط وليلى العثمان.. وآخرين.

في معرض تقديمه للكتاب، يسجل رئيس تحرير (العربي) د. ابراهيم العسكري ملاحظتين وسمتا جميع القصص أو أغلبها، وهما، حسب رأيه: (طابع الحزن الذي يغلفها جميعاً، بحيث يبدو أنّ الإحباطات، والأحلام المجهضة التي تواجه الكاتب العربي، لا تجعله قادراً على النظر الذي يبدو في نهاية النفق المظلم، والثانية هي (مدى حجم المخاوف والتوجسات التي يشعر بها الكاتب العربي وهو يمسك القلم، فدائماً يلجأ لاستخدام الرمز، على أمل أن يفصح عن غرضه دون أن يؤذي نفسه).

■■

«غيين».. السماء والهواء الصرف

نيكولاس غيين، شاعر كوبا الأشهر (١٩٠٢ ـ ١٩٨٩) وأحد أهم الشعراء الناطقين بالإسبانية، من أبوين خلاسيين، كلٌ منهما أيضاً من أبوين خلاسيين، وقد أتاح هذا المزيج بين الأعراق البشرية للشاعر أن يتمثل جوهر التقاليد الشعبية، وخصوصاً الإرث العظيم من الاتجاهات الموسيقية المتنوعة، التي لم يتخل عنها طوال تجربته الشعرية العريضة.

نال غيين عدداً من الجوائز الأدبية العالمية، أبرزها جائزة لينين للسّلام.

أهم أعماله الشعرية: «موتيفات السون»، «أغان للجنود وألحانٌ للسياح»، «اللحن الكامل»، «عندي»، «حديقة الحيوان الكبرى»، «قصائد حب»، «العجلة المسننة» وسواها؟..

يمتاز شعره بنزعة إيقاعية، وجملة ملونة بكلمات من لغات وثقافات مختلفة، وقفل القصيدة بضربة مدهشة.

.....

أتستطيع أن تبيعني الهواء الذي يمرُ بين أصابعك؟
أتستطيع أن تضرب وجهك وتسحقه؟
أتستطيع أن تبيعني خمسة أمتار مكعبة من الهواء
أو عاصفة أو أكثر من ذلك.. أتبيعني هواءً صرفاً
الهواء ـ ليس كلّه ـ
فقط الذي يهبّ على تويجات أزهار صديقتك
وعلى عصافيرها.
عشرة أمتار مكعبة من الهواء الصرف؟

الهواء يدور ويمرُ على فراشة
لا أحد يملكه
لا أحد..

❖❖❖

أتستطيع أن تبيعني سماءً،
السماءَ الزرقاء أحياناً أو الرمادية أحياناً.
ـ أتذكرُ؟ ـ قطعةً من سمائك التي اشتريتها
مع أشجار بستانكَ
كمن يشتري السقف مع البيت؟
أتستطيع ،أن تبيعني بدولار واحد قطعة من السماء
أو بضعة كيلومترات مربعة فقط
مما تستطيع من سمائك؟

السماء فوق الغيوم والغيوم تمرّ عاليةً
لا أحد يملكها... لا أحد..

❖❖❖

أتستطيع أن تبيعني مطراً كالماء الذي أعطاك إيّاه دمعك
والذي بلل لسانك؟
أتستطيع أن تبيعني بدولار واحد ماء النبع؟
أو ماء غيمة ملأى، متجعدة وناعمة كنعجة؟
أو ماء مطر ينزل على الجبال، أو ماء الغدران المتروكة للكلاب،
أو فرسخاً من البحر أو بحيرة... بحيرة بمائة دولار؟

الماء ينزل كعجلة
الماء عجلةٌ تدور
لا أحد يملكه... لا أحد..

❖❖❖

أتستطيع أن تبيعني الأرضَ، الليلة العميقة الجذور
أسنان ديناصورات. والكلسَ المتناثر على الهياكل البعيدة؟
أتستطيع أن تبيعني الأدغال المدفونة، والتي قد تكون ميتة،
قطعاً من الأحجار
كبريت البراكين التي صعدت منذ ملايين السنين
بشكل حلزوني؟؟
أتستطيع أن تبيعني أرضاً؟... أتستطيع؟؟
أرضكَ أرضي
كلُ الأقدام تدوسها
لا أحد يملكها
لا أحد..

■ ترجمة: بسام رجا

(تم إغلاق تحرير هذا العدد ظهيرة يوم الأربعاء 2007/5/16) «قاسيون» يصدرها الشيوعيون السوريون بناءً على قرار المؤتمر الاستثنائي للحزب الشيوعي السوري في 2003/12/18

بلاد تهلكها الأسوار

حازم العظمة

منذ أن « يؤسس» أحد ما لـ «ملكية» ما، حتى يحيطها بالأسوار.. إن اشترى عقاراً أحاطه بالأسوار، إن تزوج وضع الأسوار على «حَرمه»، من القماش الأسود، يمنع عنها الهواء والضوء، أدعى للاطمئنان..

بطريقة لا تختلف كثيراً.. المدراء يحيطون «ممالكهم» بالحجّاب والأزلام .. بكائنات لها هيئة الكآبة، لها ربطات عنق من أناقة مزورة، لها أورام حديدية في الخصر، كمًا في الرأس...

أسوار في كل مكان، في كل شيء والأسوار البشعة أصلاً يزيدونها بشاعةً بأن يزرعوا عليها «الفوانيس» من حديد بشع مزخرف، كل مترين فانوس، أدعى للوجاهة... والهباء

النتائج مأساوية، بلاد تراها إن نظرت إليها من بعيد، من الجو مثلاً، أسواراً لا تنتهي، أسواراً رثة صفيقة من البلوك والدعائم الإسمنت وبوابات عالية قبيحة تشبه ما يعتبر، بتلك الذائقة، «أقواس النصر».

ترى البلاد من الأعلى، كما من الأسفل، مزيجاً من أسوار وأكياس نايلون سوداء...

لا يهم ما الذي بداخل السور، لا يهم أن تعبر، أو لا تعبر، من هذه البوابات، مواكب «نصر» ما، حضوره، المدير، وأزلامه هو «النصر»..

تبقى لسنين أرضاً خربة، أو تنشأ في وسطها منشآت لا تنتج شيئاً، ولا تؤدي أي غرض كائناً ما يكون، سوى أن تؤوي الطفيليات، أشخاص يقضون حياتهم في حراسة هذا الهباء، محاطاً بالأسوار، ودائماً ثمة فرصة ما، ليسرقوا شيئاً ما من هذا الشيء المسروق في الأصل..

يوماً ما في هذه البلاد، منذ سنين طويلة، وحتى منذ عهد ليس بعيداً كان يمكنك أن ترى شجيرة طَرفاء طليقة في الهواء لم تعلق بأغصانها أكياس النايلون، كان يمكنك أن تصادف غزالة لا توقفها أسوار.. (قبل أن تنقرض الغزلان)، كنت ترى عُجولاً ترعى طليقةً في جبال بلا أسوار، حجلاً وقبرات، وسنديانًا وكثبانًا وتلالاً حقيقية، لا أكوام نفاياتٍ وأنقاضاً.

الأنقاض والنفايات وأكياس النايلون والأسوار ينتجها الطفيليون والمهربون، حراس الهباء من كافة الأصناف والعيارات، كل واحد من هؤلاء عليه أن «ينتج» شيئاً، أن «يتحرك» ليضيف إلى المشهد شيئاً ما .. بشعاً، سيهدم الأسوار القديمة ويستبدلها بجديدة تشبهها وأقبح، سيهدم الأسواق القديمة والبيوت القديمة الجميلة الممتلئة بالحياة ليستبدلها بالـ «المولات»، والأنقاض سيرميها في أقرب برية، حتى لا تعود برية، ما «ينتجه» في هذا شيء واحد: ريع العمولة وريع التهريب، ذلك يعنيه بالتأكيد، ولكنه يعنينا أيضاً ...، إن كان ثمة سور قديم ودكاكين وحارة عمرها ألف سنة، سيهدمها، لأنه حريص على «تجديد المناظر»..

«تحديث المناظر» يحدّث العمولات و«ريع» العمولات، إن كان ثمة بناء جميل، أثرياً كان أم لا، سيهدمه، سيستبدله ببناء «حديث» من نمط الأبنية (التي يسميها «حضارية»)، ما هو حضاري في هذا المفهوم هو ما يستهلك مواداً غالية وذائقة فاسدة..

«حضاري».. ولكن بالمفهوم المحلي.. أي يشبه الزرائب، ولكن مزينة بالرخام الباهظ والسيراميك.. المدارس تشبه الزرائب، المعامل تشبه الزرائب، دوائر الدولة، الحدائق، الساحات، كل شيء يشبه الزرائب.. وأسوار، أسوار لا تنتهي، في البراري، في الهضاب، أمام البحر، وراء البحر لا يهم.. في البادية، في كل مكان أسوار، أسوار لا تنتهي، ثمة منطق ما في هذا يعمل ربما على «اللاوعي»: يحيطون الهباء بالأسوار حتى لا نراه، حتى لا ينكشف.

في الطبيعة ثمة ما يدعى بـ «المجال» تقيمه الكائنات لتحدد منطقتها، نظام مركب من روائح وعلامات، الكلب، مثلاً، يبول على حدود «مجاله»، حدود «منطقته»... لا يترك أثراً سوى الرائحة... لا يشتمّه إلا هو، وأبناء نوعه، لا يغلق الأفق، ولا يحجب البحر أو الصحراء.

أنا شخصياً أنحاز لأسوار الكلب: أثر من رائحة لا يشتمها سوى أبناء نوعه، أسوار لا تُرى، لا تمنع الريح، لا توقف الأرانب ولا الغزالات، لا توقف المتنزهين والدرّاجين والعاشبات، لا توقف العين وهي تبحث عن أفق بعيد، مفتوح... ■■

باموك في القاهرة:
لماذا لم يشر حامل نوبل التركي إلى ترجماته السورية؟

● منار ديب

في لقاء في معرض القاهرة للكتاب، أبدى الكاتب التركي أورهان باموك حامل جائزة نوبل للآداب، امتعاضه من ترجمة أعماله إلى اللغة العربية عبر اللغة العربية عبر لغة وسيطة، ويبدو أنه كان يشير إلى مشروع الهيئة المصرية العامة للكتاب لترجمة رواياته عن الإنكليزية، وكأن باموك لم يسمع أن أعماله الرئيسية قد ترجمت ومنذ وقت مبكر إلى العربية في سورية، فقد نشرت وزارة الثقافة روايته الأولى (وبالطبع لم تعد الوزارة طباعة الرواية كما هو الحال مع جميع منشوراتها)، هذه الرواية التي تروي تاريخ بلد عبر سيرة عائلة، نقلها عن التركية فاضل جتكر الذي قدم مبكراً كتاباً أتراكاً مهمين مثل أورهان كمال وعزيز نيسن إلى القارئ العربي، قبل أن ينتقل إلى الترجمة عن الإنكليزية في مجالات غير أدبية، وبغض النظر عن سوية ترجمات باموك السورية الأخرى، والتي رأى البعض أنها ترجمات دليل سياحي لا مترجم أدبي، ينقل المعلومة لا روح النص الفني، إلا أن جهل باموك بهذه الترجمات هو الذي يثير الاستغراب، باموك الذي كان من المقرر أن يزور دمشق قبل أعوام ليلقي محاضرة في المركز الثقافي التركي، لكنه لم يتمكن من الحضور بسبب المرض كما قال المركز حينها، ولأسباب أخرى كما رأى مطلعون في وزارة الثقافة هل نعاني من عزلة؟ هل نحن عاجزون عن تسويق أنفسنا: السؤال الذي يطرح نفسه هو بالشكل الصحيح؟ تحدث باموك في القاهرة عن الإرث الحضاري المشترك، هذا الإرث الذي هو أكثر جلاءً في سورية، من العمارة إلى المطبخ إلى مفردات الكلام إلى العادات، وللجغرافيا دور أيضاً فليست التركية لغة غريبة في بعض المناطق السورية، والعلاقات الثقافية والعملية قائمة على قدم وساق، والعلاقات الرسمية جيدة وهي في تحسن مطرد هل سنرى باموك في دمشق قريباً، في معرض الكتاب في مكتبة الأسد.

على جميع الصعد أيضاً، وتشكل هذه المناسبة «دمشق عاصمة الثقافة العربية» مثلاً، وبعدها لدينا استحقاق فرصة لإبراز ريادة السوريين في نقل ثقافات أخرى إلى الثقافة العربية، ومنها التركية، بل والفرنسية (اللغة الإسبانية) والروسية والأمريكية اللاتينية فأعظم كتاب اللغة الفرنسية مارسيل بروست نقل أعماله إلى العربية سوريون، لكن كتبه تطبع في مصر ولا تجد الفرصة حتى للتوزيع في سورية.

مما اضطر باموك للحديث بالإنكليزية في الندوة التي أقيمت له، مشكلة كهذه ما كانت لتوجد في دمشق، فهؤلاء المترجمون متوفرون بكثرة من السوريين والأتراك، ولدينا أخيراً قسم للغة التركية في جامعة حلب، ودورات لهذه اللغة في مراكز اللغات في الجامعات السورية.

باموك الذي غادر تركيا إلى الولايات المتحدة قبل أشهر ها هو يعود الآن، لكنه يعيش في عزلة لشعوره بوجود تهديدات جدية على حياته، وهو الكاتب الذي لم يتوقف عن مساءلة مسلّمات تاريخية واجتماعية كبرى، شاءت الصدفة أن يأتي سفر باموك ثم عزلته بعيد أول اتصال له بالعالم العربي، قد نتفق مع باموك سياسياً وفكرياً أو لا نتفق، لكن الأمر الأكيد أننا نضيع الوقت والجهد والفرص وأننا مقصرون في مجال الإدارة الثقافية والتي لا ينبغي أن تكون حكومية فحسب.

ترجمت في سورية مرتين إحدى روايات باموك وقبل فترة. والثانية في دمشق لعبد القادر عبد اللي مترجم معظم أعمال باموك ومن «جودت بيك وأولاده» صدرت في دمشق ترجمة جديدة لرواية باموك الأولى، ورغم أن تعدد الترجمات أمر شائع (الترجمة الكاملة) الطريف أن الغلاف حمل عبارة خاصة حين يتعلق في ثقافات مختلفة لكنه غالباً ما يعني أن التجويد والمقترحات الجديدة ولا يعني المضاربة والافتقاد إلى التنسيق الواعي أو غير. الأمر بالأعمال الكبيرة الترجمات المتعددة كما لدى الأمم المتحضرة ترف لا ندعيه، فحركة الترجمة. الواعية لدينا اعتباطية وعشوائية ومحدودة، وقد لا يقوم بها من هم الأصلح، ربما نحتاج إلى مؤسسات حقيقية تقوم بتكليف من يملكون مؤهلات أصيلة، وحيث لا تكون الصراعات والربح هي الأولوية، قد تكون ميزة الريادة التي لم نستفد منها بحد ذاتها تتطلب مراجعة، وقد نجد أنفسنا مضطرين لإعادة ترجمة هذه الأعمال. ■■

صفر بالسلوك

■ لقمان ديركي

كردو وعربو في الجامعة

جلس كردو وصديقه عربو في المقصف المركزي للجامعة وجلبا صندويشتي جبنة وكأسي شاي وبدأا بالتهام الصندويشات وارتشاف الشاي بصوت عال يثير الإنتباه، جاءت زميلتان وجلستا معهما وبدأ النقاش.

كردو: النبي ابراهيم كردي أتى من شمال العراق إلى فلسطين محملاً بالثقافة الكردية الزرادشتية.

عربو: ليش زرادشت كردي كمان؟

كردو: طبعاً

عربو: العرب هم الذين علموا العالم الأوربي الجاهل وقد أرسل هارون الرشيد ساعة إلى شارلمان فتعقد منها.

كردو: الأكراد غزوا أوروبا وتركوا قسماً منهم هناك سموهم بالألمان.

عربو: ليش الألمان أكراد؟

كردو: طبعاً والفرنسيين كمان.. كلهم آريون.

عربو: العرب هم الذين ابتكروا الهندسة والجبر والفيزياء والكيمياء والفلسفة فهل هناك من هم أعظم من ابن رشد وابن الهيثم وابن سينا والفارابي؟

كردو: ابن سينا كردي والفارابي كردي وزرياب كردي واسحق الموصلي كردي.

عربو: العرب غزوا العالم وقد قال الفاتح العربي طارق بن زياد: «العدو من أمامكم والبحر من ورائكم فأين المفر»؟

كردو: طارق بن زياد بربري والبربر أكراد كلهم جاؤوا بعد أن بقي قسم منهم في ألمانيا وعاد قسم منهم الى شمال أفريقيا وسموهم بالبربر أو الأمازيغ وهم أكراد.

عربو: العرب هم الذين اكتشفوا العالم الجديد فقد استفاد كولومبوس من بحوث الجغرافيين العرب الذين كانوا يحكمون الأندلس.

كردو: كولومبوس كردي يا رجل فقد جاء جد جده مع طارق بن زياد ولكن الإسبان غيروا أسماء الناس.

عربو: البحارة الذين ذهبوا مع كولومبوس إلى امريكا كانوا محكومين بالإعدام وكانوا كلهم عرباً حصرياً.

كردو: يا عربو لا تبالغ.

عربو: أنت لا تبالغ يا كردو.

انتبه الإثنان إلى اختفاء الفتاتين، وعندما بحثا بأعينهما وجداهما على طاولة أخرى جالستين وهما تضحكان مع شابين انيقين.

شاب ١: أنا سيارتي مرسيدس.

شاب ٢: أنا سيارتي بي إم دبل يو.

تبادل كردو وعربو النظرات الشرسة ثم أكملا..

كردو: صاحب شركة مرسيدس كردي.

عربو: اسم المصنع مرسيدس بنز.. يعني مرسيدس عنده شريك اسمه بنز.. رجاء لا تنساه يا كردو.

كردو: ومين هاد بنز؟

عربو: شريكه لمرسيدس.. بالمناسبة بنز عربي. ■■

المهرجان الأول لقصيدة النثر في سورية

سيقوم المركز الثقافي الروسي بإطلاق فعاليات المهرجان الأوّل لقصيدة النثر في سورية في الفترة الواقعة بين (٨ و١٥) من الشهر السابع للعام الحالي، ويرحّب المركز بمشاركات جميع شعراء قصيدة النثر من كل الأجيال، على أن ترسل القصائد إلى مدير المركز جمال دورمش أو إلى المشرف العام على المهرجان، وصاحب الفكرة، الشاعر فاتح كلثوم، وستكون هناك لجنة متخصصة ستخوّل بقبول القصائد أو الاعتذار من أصحابها. ويذكر أنّ باب تلقي المساهمات مفتوح حتى (٢٠/٦/٢٠٠٧).

وفي تصريح خصّ به قاسيون، قال الشاعر فاتح كلثوم، المشرف العام، وصاحب الفكرة والتصوّر:

«قصيدة النثر هي الأكثر حداثة في الشعر العربي، ولكنّ ليس هناك مهرجان يحتفي بها، وبشعرائها، وبتاريخها، من هنا يأتي هذا المهرجان بغية فسح المجال أمام الجميع شعراء ونقاداً وقرّاءً، للعمل على مشروع الحداثة الشعرية الذي تم تناسيه، ليحلّ مكانه النظم الخليلي». ■■

مختارات

الصحراء لا تريد أن تتكلم

من هذا المكان الصارم العاري، لأنّه لا يريد أن يستر نفسه ككل الأمكنة، تعلّمت المساحات فضيلة كانت عنوان كلّ حكمة أرضية: الصّمت!

كما يُؤتى العلم دائماً بعد فوات الأوان، فإنّ الأمكنة تعلّمت أنّ السكوت رأس الحكمة، بعد فوات الأوان أيضاً، بعد أن استسلمتْ لإغراء اللسان، وذهبت بعيداً في قول جهلٍ ما كان ينبغي أن يقال.

أدركت فضيلة الصمت بعد أن عرفت إثماً، وارتكبت جرماً في حق كنز وضعته السماء بين يديها أمانة، فخانت الأمانة السماوية، وثرثرت للملأ بالسرّ!

ولأنّ السماء لا تغفر الحنث بالوعد، فقد وجدت الأمكنة نفسها مدفوعة باللعنة. لعنة أبدية لن يتخلّص منها مكان ما لم يغسل نفسه من رجس الكلام الذي قيل، والكلام ليس خطيئة ككلّ الخطايا، لأنّه إذا خرج من الفم، وذهب به اللسان، فإنّه لا يعود إلى الوراء أبداً.

يئست الأمكنة من الشفاء، فمضت تثرثر بجهلها، وتكثر من كل قول لتشيع نهم الكبرياء بالتباهي، ولم تدرِ الأمكنة الدنس أنّ من يتكلم وحده لا يعلم، أمّا من يعلم فلا يتكلّم.

■ **ابراهيم الكوني**
«صحرائي الكبرى»

زوروا موقعنا على الأنترنيت: www.kassioun.org